ملامح التمرد الأنثوي في رواية (أشرعة ممزقة) لسوزان مصطفى

بيداء حازم سعدون
جامعة الموصل / كلية التربية

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

تهدف هذه المقاربة إلى دراسة التمرد الأنثوي للشخصية المحورية في رواية أشرعة ممزقة وصراعها كي تنتزع حريتها وتمارس وجودها بعيداً عن القوالب الحديدية ذات الأطر المرجعية المتمثلة بـ(البنية الأبوية – التنشئة الاجتماعية – العادات والتقاليد – التخلف الحضاري والثقافي) التي تضغط على حياة المرأة وسلوكها، ولهذا نجدها تطلق صرخة احتجاج اعتراضية، فهي رواية تشكل وثيقة نفسية واجتماعية لا غنى عنها لقياس واقع المرأة العربية في مرحلة معينة، وقد تبنى هذا البحث توضيح مفهوم التمرد، ثم دراسة تأثير هذه الثيمة في شخصية (ختام) الشخصية المحورية في رواية (اشرعة ممزقة) للكاتبة (سوزان مصطفى) عبر تحليلها بنماذج تطبيقية من الرواية محور الدراسة.

التمرد /لغة

" مرد . المارِد□: العاتي. مَرُدَ على الأمر□ بالضم، يَمْرُدُ مُرُوداً ومَرادةً، فهو مارِدُ ومَرِيْدُ وتَمَرَّدَ: أقبَلَ وَعتا. وقال الله تعالى: ومن أهل المدينة مَرَدُوا. وقال ابن الأَعرابي: المَرْدُ التطاول بالكبر والمعاصي. ومنه قوله: مَرَدُوا على النفاق أي تطاوَلوا والمَرادةُ: مصدر المارِدِ والمَريدُ: من شياطين الإنس والجن وقد تَمَرّد أي عَتا، ومَرَدَ على الشرِّ وتمرَدَّ أي عَتَا وطَغَى(١)

التمرد اصطلاحاً:

في علم الاجتماع التمرد هو " محاولة فردية لتغيير الواقع الاجتماعي، غير أن هذه المحاولة، وبسبب فرديتها، محكوم عليها بالفشل ذلك أن تغيير الواقع يحتاج إلى ثورة

اجتماعية أو إلى مدى تاريخي"(٣) أمّا التمرد في المفهوم الفلسفي فهو "فعل التحدي الذي يمارسه الفرد ضد قوى عاتية لا يستطيع إلحاق الهزيمة بها، ولكنه يواصل الصراع، رغم تكرار الفشل لأن لا خيار أمام الإنسان ومصيره "(٣) والتمرد في الأدب فيعني "الخروج على نواميس المجتمع وقوانين النظام العام وعدم الاعتراف بسلطان أي سلطة"(٤)

فالتمرد في نظري ليس إلغاء شاملا للماضي وقطعا للصلات مع التراث في المطلق،لكنه يعني إعادة النظر في ركام من الأفكار المتوارثة والقيم المحنطة التي ينوء تحتها الإنسان العربي رجلا كان أم امرأة، والمرأة تنوء تحتها أكثر لأنها مظلومة وكا دحة والكاتبة تقف ضد الظلم،وتمردها كان ملتزم بكل القيم الإنسانية التي تؤمن بها فهي تعشق الحرية حتى ذروة التمرد لكنها تؤكد إنها تتحدث عن حرية مسؤولة لا فضفاضة

وتذهب الفلسفة الوجودية إلى أن مصير الإنسان إنما يتحدد من خلال التزامه بالمسؤولية فهنا بالضبط تتحقق حرية الإنسان، وهنا يكمن الفارق النوعي بين فلسفة العبث التي تؤدي إلى اللاجدوى وبين التمرد المشروع والقابل للتحقق في زمن يأتي رغم تكرار الفشل الآن سيزيف كان يؤمن بأنه سيصل مع صخوره إلى قمة الأولمب، ولهذا فهو يواصل المحاولة، كذا تفعل المرأة التي تعرضت ولا تزال إلى أشكال مركبة ومرعبة من الضغط والاضطهاد عبر آلاف السنوات ولكنها تواصل تمردها الفردي ضد القامع الذكر

وتتسم الكتابة عن المرأة في الحضارة العربية بطابعي التنوع والتعدد اللذين يوقعان المرء في كثير من الأحيان في حيز التناقض، والبحث عن صورة المرأة في هذه الحضارة بمعزل عن "المنظومة التي تتموضع فوقها، ونعني بها البنى الثقافية والدينية والاجتماعية، والتاريخية التي تؤسس مرجعية خطابها في ثقافتنا، يعدّ بحثاً مبتوراً يحصر نفسه في دائرة ضيقة، ويعجز بالتالي عن استشراف دوائر أوسع مساحة من تلك الدائرة الضيقة المحددة "(٥) فمكانة المرأة في أي مجتمع يكون بالتأكيد موهون بطبيعة المجتمع الذي تحيا فيه وظروفه التاريخية وثقافته الموروثة، فالنص أياً كان " لا ينشئ حضارة، ولا يقيم علوماً وثقافة إن الذي أنشأ الحضارة هو جدل الإنسان مع الواقع من جهة وحواره مع النص من جهة أخرى"(٦)

المرأة في مرحلة الستينات من القرن العشرين بدأت تتمرد على الأوضاع الاجتماعية السائدة في المدن السورية الكبيرة، فالأنثى فيها مازالت في عيون المجتمع إنساناً ناقصاً وهو ينظر إليها على أنها مخلوق دون الذكر مكانة ومنزلة، ويراقب تصرفاتها ويقمع أي محاولة للخروج على أنظمة الذكورية، مع أن الأنثى غدت واعية لذاتها، وهي تعرف مالها وعليها لاسيما وأنها خرجت من المنزل إلى الجامعة، ولاحظنا في دراسات سابقة للرواية النسوية العربية، أن القاسم المشترك الأعظم في هذه الرواية إنما ينطلق من صراع الضد بين المرأة والرجل وترى البطلات في غالبيتهن الساحقة يصدرن في مواقفهن من أن الرجل/ الذكر هو المسؤول الأول والمباشر عن اضطهاد المرأة وتخلفها وحرمانها من حقوقها، وبالتالي فإن هذه الرواية تكاد تتحول في كثير من الأحيان إلى مرافعة دفاع عن الضحية/ المرأة، لإدانة المجرم/ الرجل ويكفي القارئ استعراض بعض عناوين الرواية النسوية العربية ليلحظ هذا المعنى " (لم نعد جواري لكم) لسحر خليفة.

(امرأة خارج الحصار) لرجاء أبو غزالة (الرهينة) لأميلي نصر الله (الدمى الحية) لهند سلامة (لست دمية) لثريا شيخ العرب (الزوجة الهاربة)، (زوج في المزاد)،(جريمة رجل) لحربية محمد (٤ صفر) لرجاء عالم، (ليلة القبض على فاطمة) لسكينة فؤاد، (لعنة الجسد) لصوفي عبد الله، (امرأة في دائرة الخوف) لضياء قصبجي (ليلى والذئب) لعالية ممدوح، و(لا غراء للسيدات) لكاثيا سرور (المرأة والقطة) و(وسيمة تخرج من البحر)، لليلى العثمان (الضحية) لمليكة الفاسي (٤ نساء) لناجية حمدي (رقيق القرن العشرين) لنجوى القلعجي (محاكمة يمامة عربية) لنهاد توفيق عباسي ".[٧]

ويبدو واضحاً من عناوين الروايات السابقة ومن مضامينها أن البطلات ينطلقن من مواقع الضد، والإدانة بالنسبة للرجل وبالطبع فإن مثل هذه الإدانة مبررة ومفهومة لمن أراد أن يرى فقط التجسيد الملموس والمباشر لقضية اضطهاد المرأة ومن دون أن يرى ما هو أعمق من ذلك بكثير وهو أن الرجل نفسه هو ضحية ذلك الإرث التاريخي الذي شكّل سلوكه ونظرته للمرأة.

وعبرت الروايات العربية في السنوات العشر الأخيرة عن تجربة مواجهة الغرب بقيمة المغايرة وطرائق العيش والتفكير، فجسدت التحولات الحاصلة في الساحة الاجتماعية العربية، وإنعاكساتها على الوعي، فجاءت صور المرأة منها لتفصح عن توقها إلى الحرية والتحررعلى وفق الأنموذج الغربي أحياناً، وأحيان أخرى نجد لها تعلقاً بروحانية غائمة السمات، منحدرة من روح الشرق. فكانت هناك روايات تحاول أن تضع قدماً على الضفة العربية وقدماً أخرى على الضفة الغربية، وفي هذا الإطار بدأت الرواية العربية السورية تشق طريقها مبكراً في رومانسية عالية أولاً، ثم انجرفت إلى معظم أشكال التجريب، وسايرت أحدث المعطيات الروائية العربية والعالمية، " ظهرت في هذه الرواية السورية بالمعنى الاجتماعي وليس الأيديولوجي، فكانت صورة المرأة بارزة الملامح في مجتمع المدينة المعاصرة، في الجامعة، في مواقع العمل (روايات هاني الراهب، حنا مينة، حيدر حيدر) ظهرت صورتها المثالية في روايات فاضل السباعي (ثم أزهر الحزن) المرأة التقليدية النمطية لصالح المرأة العصرية المثقفة التي تمارس حقها الطبيعي بعيداً عن هيمنة الذكور على الرغم من أن المجتمع القائم لم يعترف بنجاحها!! واستطاعت الرواية السورية في السنوات القليلة الماضية أن تغطي الأبعاد الجمالية والأجتماعية للمرأة، صورتها أما كادحة وأختاً صابرة وبنتاً متوثبة للحياة، وزوجة واهبة للزوج والأبناء بعد أن انصرفت عن الرومانسية الأولى"[٨]

تمكن الروائي العربي، أن يمسك مبضع الجراح وبدأ في رواياته يرتاد أدق الأماكن بجرأة، وبدأ يصعد ذلك في تصوير دقيق للمجتمع الذي أثرت فيه التحولات التي جرت في العالم، من نهوض أنثوي، وأنعتاق من ربقة العادات البالية، فلم تعدُّ المرأة كما في الماضي تقبع في البيت طائعة أوامر الذكر،اذ تمردت على أوضاعها الاجتماعية، كما ثارت على العادات والتقاليد، ووقفت إلى جانب الرجل، خرجت للعمل وشاركته، سهرت، رقصت، سكرت، خانت، والنموذج الأمثل في روايات (حميدة نعنع، وهاني الراهب، ومطاع صفدي، وخيري الذهبي) كثر نموذج المرأة في كل رواية، وقد تقاطعت نزواتها العاطفية، وكشف الروائيون العرب المناطق المحرمة والمعتمة من جسدها فصرحوا بالمسكوت عنه، صوروا شخصيات شاذة ومتحللة، نقلوا الواقع الاجتماعي بدقة، كسروا حواجز الصمت، صارت المرأة تتقدم الخطاب الروائي بصوتها

العالي وحضورها البهي،و غدت صورة المثقفة الواعية، بعيدة عن التهميش تمتلك حرية التعبير، حرية المشاركة، حرية التنقل، حرية الممارسات الجسدية، تنحى الخطاب الروائي عن ملامسة ظواهر الأشياء، دخل في العمق، رصد أدق الرغبات الأنثوية الطاغية كـ "(رواية بنات بلدنا، ورواية ألف ليلة وليلتان، لمحمد قراينا وهاني الراهب) مع هذا وذاك فقد قصرت الرواية السورية في رسم شخصيات أنثوية خالدة لها إيقاعها المميز وتأثيرها النوعي مثل (آنا كارنينا، لتولستوي، وجريتا لأرسكين كالدويل، ومدام بوفاري لغوستاف فلوبير، ولأم لمكسيم جوركي) لكنها لم تقتصر في رصد شخصيات متمردة، تحمل أنوثتها، وقنوات إثارتها، تحمل رؤية بنات جنسها للتعبير عن ضمير واقعها "[٩] .

حاولت الكاتبة (سوزان مصطفى) في رواية ((أشرعة ممزقة))[١٠] أن تخضع بطلتها (ختام) للشرط الواقعي الذي تتحرك من خلاله تلك الشخصية المحكومة لإرثها وتربيتها وثقافتها ووعيها ومحيطها الاجتماعي وتنميطها من خلال مفاهيمها ورؤيتها

أن التكوين الخاص لشخصية ختام محكوم لوقوفها في لحظة مفصلية حرجة بين باب التمييز بين الجنس ذلك المفهوم الذي ظل مسيطراً على عقلية الأسرة العربية والتي كانت نتيجته أن طبع على الشخصية آثار المعركة كمشوهة حرب تخوضها (ختام) بينها وبين أخيها (محمد) الذي جاء بعد انتظار طويل من قبل الأسرة وخاصة الأم التي تجد بمجيئه الإحساس بالاطمئنان على اسم العائلة من الضياع والاندثار بمرور الزمن فنقرأ على لسان (ختام) عبر السرد الذاتي من خلال تقنية الاسترجاع ما أحدثه مولد أخيها الذكر (محمد) من تغيير في مصير الأسرة فتقول: " أعاد مولد أخي محمد، كنت لأمي شيئاً مقيتاً، غير مرغوب فيه، وعند مجيئه، أصبحت لاشيء على الإطلاق... حتى ابتسام، أمي الصغيرة، لم تعد تقيم لي شأناً بعد ولادة أخي، وأصبح الاهتمام والعناية والحب موجهاً نحو القادم الجديد " [١١]

إن التمييز في المعاملة بين الصبيان والبنات يبدأ من الولادة، فحين " يولد صبي تعم الفرحة وتقام الاحتفالات ولا يحدث ذلك حين تولد بنت وحين لا تنجب المرأة صبياً فإنها تثير الشفقة وقد تطلق، وفي الحقيقة إن هذا الاحتفاء بولادة الصبي يدفع المرأة إلى الاهتمام بمتطلبات الصبي وذلك على حساب أخواته البنات" [١٢]

فقد كان لهذا التمييز الجنسي من قبل الأسرة العامل الأساسي لإثارة بركان التمرد والعصيان لدى (ختام) الشخصية الرئيسية، والذي جاء عبر اعتراف الشخصية وتأكيدها لهذا التمرد الذي خلق في نفسها حالة من العدوان والمواجهة ضد تلك العقبة التي حالت دون عجز الشخصية في حصولها على حقوقها كفرد في الأسرة يحتاج إلى رعاية وحنان وعطف، والتي من المبرر أن تمنحها الأم لطفلتها بوصفها مصدر الحب والحنان فنقرأ عبر السرد الذاتي على لسان الشخصية (ختام) هذا الاعتراف المؤلم بعدم أهميتها وسط هذه الأسرة التي تشكل النواة الأولى للمجتمع الذي ستنطلق منه(ختام) فتقول: " ضروب الإهمال والأحاسيس المؤلمة بانعدام الوزن والأهمية شوهت طفولتي، ضروب المرارة أفسدت أنوثتي فعجزت عن فرض ذاتي بصورة طبيعية، إشعاري بالإثم مافتئ ينكأ جرحي آثمة لأنني قتلت توأمي، آثمة لأنني أنثى آثمة لأنني لم أمت يوم أرادت أمي قتلي، آثمة لأنني لست بجمال أخواتي، آثمة لأن المرارة شوهت روحي، ما كان مني إلاّ أن أطلقت صرخة انبعثت من كل كياني أوقدت نار تمردي، أعلنتها حرباً شعواء على كل ما حولي ومن حولي تجسدت صرختي عدوانية وشراسة وغطرسة وعناداً، أصبحت عنيدة بصورة شيطانية... فبعد أن كنت قد تعودت قضاء حاجتي في المرحاض عدت لأتبول وأتغوط في كل مكان... في ساحة الدار، فوق الأسرة والمناضد والكنبات، ووسط الغرف... كنت كثيراً ما أخلع ثيابي كلها لأركض في أرجاء البيت عارية أسوة بأخي فتلاحقني شتائم أمي وصراخها "[١٣]

هذا العالم المتغير هو موضوع رواية (أشرعة ممزقة) التي باتت من مهمة الكاتبة الكبرى أن تترافع دفاعاً عن حقوق المرأة التي يبدأ إحباطها من البنية الأبوية داخل الأسرة انتقالاً إلى المتغير الثاني الذي ستواجهه الشخصية بعد خروجهامن البيت بعد سنوات خمس أو ست، وتحول هذا المتغير إلى قناعات اجتماعية مدعومة بالشرائع والقوانين، ولكن سيكون على الكاتبة امتلاك القدرة على القول والمجابهة، ليس عبر خطاب سياسي أو اجتماعي ولكن عبر نص إبداعي صادق تؤدي الشخصيات دوراً في ترجمة ما تؤمن به من القيم والعادات والتقاليد.

إن التأزم النفسي الذي عاشته (ختام) في مرحلة الطفولة يتوقف درجته على قوة الحاجة لرعاية الأم وحنانها ونظرة التمييز بين الذكر والأنثى، فكلما كانت القسوة والعقاب كبيراً،

كان الإحباط أشد وقعاً على نفسية (ختام) يوماً بعد يوم، وكلما ازداد حجم العائق الذي يقف بينها وبين الأم واشتد تأثيره، واتضحت صعوبة إزالته، ازدادت الأزمة النفسية للشخصية، وكانت أكثر حدة وأوسع شمولاً فالسلبية التي طغت على تصرفات (ختام) كانت قد تشكلت لديها كآليات الدفاع التي تتمثل بردود فعل عنيفة تجاه الأم العامل الأساس في خلق أزمة الإحباط التي تعاني منه، فأصبحت تقوم بكل الأفعال السلبية وتعيش حالة اعتراض لكل الأشياء التي لا يجوز القيام بها، والتي من شأنها أن تجابهه بالعقوبة والضرب من الأهل وكما ذكرنا أن الحالة النفسية من الإحباط والتمرد والسلبية تعود لأسباب ذاتية أو موضوعية حالت بين (ختام) وبين أن تسلك سلوكاً مناسباً معقولاً ملائماً للواقع الحقيقي المطلوب، كما أن عجزها عن مواجهة مشكلتها لصغر سنها دفعها إلى إتباع أساليب مختلفة غير مقبولة بقصد التخفيف من حدة التوتر الناتج عن الإحباط... كما ساعدت أخرى في تأزم حالة التمرد لديها

من خلاله يمكننا معرفة السلوك الذي تنتظم فيه بناؤها وطبيعتها الجسمية والعقلية والنفسية، وخلاصة خبراتها التي تتفاعل فيما بينها في مواجهة المثيرات البيئية المختلفة مؤدية إلى استجابات خاصة تدل على الكيفية الفريدة التي يتم بها هذا التفاعل في مواقف بيئية معنية ستكشف للقارئ كلما تعمقنا بدراسة شخصية (ختام) وبقية الشخصيات الأخرى في رواية (أشرعة ممزقة) عينه الدراسة.

والسؤال الذي يواجهنا لدى قراءة الرواية أن الراوي يلجأ إلى الذاكرة في الكشف عن مكنونات الشخصية المحورية (ختام) فتلجأ إلى صفحة من حياتها وخاصة الطفولة هو معروف فالطفولة هي أهم ما تخزنه الذاكرة من تجربة والتي يمكن استرجاعها، لاسيما عندما تتعرض هذه التجربة إلى منع قسري من الامتداد في المكان ذاته، وهذا المنع القسري يشبه النظام القسري كذلك .... فقد جسد لنا الراوي على لسان الشخصية (ختام) عن يوم مولدها وما أحدثه من ردّة فعل عنيفة لدى الأم التي رفضت حتى أن ترضعها من ثدييها وحرمتها من حليبها وحنانها، ذلك الشعور الصارم من قبل الأم قد زاد من إحساس التمرد والسلبية التي خلفتها الأم للتخلص منهااذ يقول الراوي عبر السرد الذاتي من خلال تقنية الاسترجاع لأيام الطفولة" كان لي من العمر سنة ونصف. عندما أصابتني الحصبة كان الفصل صيفاً، والحرارة لا تطاق، دثرتني أمي

بغطاء صوفي عند الظهيرة، حملتني وجالت بي ساعات طويلة في أنحاء المدينة والأسواق على أمل موتي، ولكن الأقدار لم تشأ لي الآ الحياة، وعندما عادت أمي إلى البيت كان أبي بانتظارها يستشيط غضباً، فراح يضربها حتى ازرق جلدها وكاد أن ينكسر عظامها " [١٤]

وتدخل التنشئة الاجتماعية إذ تهدف عموماً إلى " دمج الفرد في الجماعة وفق أغراضها، ومعتقداتها وأنماط سلوكها"[١٥] فهي بمثابة " ولادة اجتماعية جديدة"[١٦]

وقد شاع عند الرومان استخدامهم لمفهوم الشخصية وهي " (تعني الشخص) كما يظهر بالنسبة للآخرين وليس كما هو في حقيقته، على اعتبار أن الممثل يؤثر على عقلية المشاهدين خلال الدور الذي يقوم، وليس فيما يتصف به ذاتياً " [١٧] ومضمون هذا المعنى يمكن أن نفهم تأثير لسلوك الشخصية على الآخرين وهذا يقودنا إلى القول "إن الشخصية ليست شيئاً منعزلاً عن الشخص فهي ظاهره وباطنه وتعد المحصلة النهائية لسلوكه بكل أبعاده الوراثية والبيئية"[١٨]

ويمكننا تحديد الشخصية كمؤثر اجتماعي بالقول ان الشخصية يمكن " تحديدها وفقاً للمفاهيم المجردة فإنها تعني الذات الاجتماعية أو الدور الذي تلعبه في العلاقات الاجتماعية" [١٩] و"العملية التي بفضلها يصبح الفرد، سواء في طفولته أو فيما بعد مؤهلاً فيما يخص ثقافته الخاصة"[٢٠]

وأبرز مؤسساتها (الأسرة والمؤسسات التعليمية والرسمية ووسائل الإعلام الجماهيري) وفي المجتمع العربي، كما في أي مجتمع آخر تختلف عملية التنشئة الاجتماعية للذكور عن الإناث وذلك أنه ينبغي إعداد هذين الجنسين لمهام مختلفة عليهما أداؤها في ما سيتقبلون من حياتهما... وما يخدمنا بخصوص التنشئة الاجتماعية في روايتنا (أشرعة ممزقة) للتأكيد على ثيمة التمرد لدى(ختام) وكيف عززت تلك التنشئة تلك الثيمة فالحدود الاجتماعية التي كرستها (الأسرة) وزاد من رصانتها (المجتمع) ساعدت على ترسيخ الحدود الفاصلة بين الجنسين من ذكور وإناث، وأن الهوية الجنسية هي الهوية الاجتماعية، وهذا يعني أن الجنس، ذكراً كان أم أنثى يحدد الطبع، وكذلك الأدوار والوظائف والمراكز الاجتماعية لكلا الجنسين وهذا ما جسدته (ختام) في استرجاعها لصفحة من حياتها في الطفولة معززة المبررات التي جعلتها

تتحلى بثيمة،التمرد فنقرأ عبر السرد الذاتي الأساليب التي تتبعها (الأم) في تربيتها لأخيها (محمد) لأنه ذكر والتي تتنافى بدورها مع أساليب تربيتها لها ولأخواتها البنات بدافع أنهما إناث فتقول: " ضروب عديدة من التعبير عن الذات أباحتها أمي لأخي محمد وحرمتها على البنات، حدود حركتنا كانت محسومة بين البيت والمدرسة حتى النشاطات المدرسية المختلفة من رياضة وفنون ورحلات كانت من ضمن المحرمات... كان أخي يقضي جل وقته في الخارج أما نحن البنات فكان محظوراً علينا الاقتراب من عتبة الباب" (٢١)

فالآباء يعدون الأبناء مهما بلغوا من العمر خصوصاً البنات قاصرات وينبغي إحكام الوصاية عليهنّ، وعزلهنّ عن الحياة الاجتماعية كما يربيّن على الخضوع التام لمجتمع الكبار والأعراف الجمعيةمن دون إدراك لأبعادها أو وضعها موضع التساؤل يقول الراوي واصفا معاملة الام لها:" ما كان لأمي من شأن سوى توسيع دائرة الحزام من حولنا نحن البنات، وتضيق دائرة الحلال، حتى أصبحت تحركاتنا اليومية سلسلة من الآثام، وأصبح هاجس الإثم لدينا لا يطاق، آثمات إن ضحكنا، آثمات إن رفعنا صوتنا، وآثمات إن لعبنا أو رقصنا أو غنينا، أو حتى إن شاهدنا التلفاز... لم تتركنا يوماً نتابع مسلسلاً أو نشاهد فيلماً، فما أن يختلي حبيب بحبيبته ويبدآن بتبادل كلام الحب حتى تسرع أمي وتطفئ التلفاز حرصاً على أخلاقنا من الفساد! إلى أن أصبحت أخيراً لا تسمح إلاّ بمشاهدة أفلام الكارتون والبرامج التعليمية والدينية لا غير"(٢٢)

إن حرية الذكر بعد أن يكبر تتناسب طردياً مع سنه، فكلما كبر الذكر تزايدت حريته، وهذا يعني " أن القيود الاجتماعية التي يخضع لها الذكر والأنثى تتلاشى بالنسبة إلى الذكر وتتزايد بالنسبة إلى الأنثى وتنعكس هذه الفواصل الثقافية الاجتماعية المحدودة للتمييز بين الذكور والإناث على تقسيم العمل، والعلاقات بين النوعين، وتحديد الأدوار المناسبة لكل منها " (٢٣)

إن التنشئة الاجتماعية ترسَخ إذن القيم الموروثة، أما القيم الجديدة فلا تستوعبها وهذا يصدق على مؤسسات التنشئة الاجتماعية كافة، بحيث يبقى القديم هو الأصل، والجديد هو الطارئ، أما النتيجة المأساوية فهي انعدام الإبداع في حياتنا والتمسك بالماضي على حساب الحاضر.

حاولت ختام أن تبني شخصيتها المستقلة التي تتنافى مع القيم الموروثة التي تنظر إلى الفتاة بأنها لا تصلح إلاّ للزواج وتربية الأطفال والإعداد منذ الصغر من قبل الأسرة لهذا المسار المقرر لهااذ يقول الراوي : " وسعياً للتخلص من مشاعر الإثم، وإتاحة المجال أمام الطاقات النازعة داخلنا للانبجاس، وجهنا طاقاتنا نحن البنات نحو الدراسة والتفوق في المدرسة، فنلنا أفضل المراتب وأعلى الدرجات، وأما في وقت الفراغ فقد وجهت أخواتي اهتماماتهنّ إلى المطبخ والمهام المنزلية فأجدن الطهو وتدبير المنزل وحياكة الصوف وغيرها من الأشغال اليدوية وغالبن في الاهتمام، حتى أصبح يطربّهن إطراء الأخريات على تميزهنّ وكان هذا بالنسبة لأمي فخار واعتزاز أكبر من فخارها واعتزازها بتفوقنا في الدراسة " [٢٤]

لقد نمت شخصية (ختام) المتمردة على بوادر التنشئة الاجتماعية التي أخذت جذورها من الماضي في ترسيخ عنصر التمييز الجنسي بين (الذكر والأنثى). إن العقلية والأعراف السائدة لا ترى التعليم سبيلاً إلى صعودها الاجتماعي بقدر ما تعده وسيلة لزواجها " إن تعليم الإناث يخضع في كثير من الأحيان إلى اعتبارات اجتماعية تقليدية تجعل من التعليم مجرد أمر شكلي، لتلبية تطلعات الأسرة في الحصول على زوج مناسب، وليس من أجل أن تشترك المرأة في الإنتاج وأن تحقق ذاتها من خلال عمل تحبه"[٢٥]

إنه العقل الجمعي عندنا هو عقل الرجل،إذ أن الرجل هو الذي يسيطر في الأسرة وفي المجتمع، وفي القيم والثقافة، لذلك قيدت الثقافة الرجالية حرية المرأة وحركتها، وقد تحولت هذه القيود إلى قيود فكرية وحضارية تتقن عبودية المرأة، وقد عبرت عن ذلك باحثة البادية بقولها ان " صخور التقاليد القديمة تدمى أقدامنا الاجتماعية "[٢٦]

وتقول (مي زيادة) عن استعباد الرجل للمرأة " إنه باستعبادنا لمنتحر"[٢٧]

وها هي (ختام) تقف متمردة ضد تقييد حريتها وإرادتها ورغباتها الذاتية في أن تختار لها شخصية قوية متسلحة بالعلم والمعرفة فتقول : " لم أكن أكترث لاهتمامات أخواتي المنزلية، فثمة ما يشغلني عن تلك الاهتمامات ألا وهو المطالعة، فمنذ أن فككت الخط بدأت القراءة أصبحت قارئة شرهة دون تحفظ أو حدود، انفق كل نقودي على استعارة الكتب من مكتبة قريبة من المدرسة، كانت أمي وأخواتي الأكبر سناً يضعن أيديهنّ على كل كتاب بحوزتي

ورغم العيون المتيقظة المترقبة من حولي، فثمة كتب كثيرة لم أكن أجرؤ على إظهارها فأقرؤها بعد نوم الجميع، تحت غطاء السرير، خافية إياها تحسباً بين دفات كتبي ودفاتري المدرسية " (٢٨)

هذا الإحساس بانفراد الشخصية هو حكاية (ختام) التي تهرب من (هنا) (الأسرة) لتمارس حريتها (هناك) (المجتمع) أو هي تهرب من أنآها الاجتماعية الواعية لكي تطلق حرية أنآها الداخلية المكبوتة والمقموعة بشروط الـ (هنا) فتبيح لها ما تراه مناسباً لها فتقول: " يسرت لي قراءتي التواصل إلى معارف أكثر بكثير مما تصل إليه فتاة في مثل سني ووسطي، وفتحت أمامي آفاقاً من المعرفة، خففت شيئاً فشيئاً من ظمئي إلى الاطمئنان والأمان، إذ بدأت أكتشف من خلال المطالعة نفسي، وأعي هويتي وأفهم تدريجياً أسرار دونيتي وعبوديتي كأنثى، أفهم كره أمي لي أو بالأحرى كرهها للأنوثة ورفضها لها، رويداً بدأت أغفر لها، وأشفق لحالها وأشعر أن مأساة وجودنا كأنثيين توحدنا "(٢٩)

إن نبض الحياة والتمرد هو الذي يجب أن ينتصر وكل انتصار لا يمكن أن يتحقق إلاّ إن تجمعت له بدايات صغيرة ومتواضعة وهذا ما حدث فعلاً ل(ختام) والتي استلقته كما ذكرنا من البنية الأبوية والتنشئة الاجتماعية مضيفة إليها الأعراف والتقاليد والتخلف الثقافي الذي سنتطرق إليه في حديثنا اللاحق عن شخصية ختام.

وشكلت العادات والتقاليد عنصرا من عناصر التمرد فالأعراف العامة والثقافات الموروثة خصوصاً ما يتعلق منها بالمرأة، هي التي تنظم قضايا الزواج، والطلاق، والمهر، والشرف والعرض، ونستدل على ذلك أن النسق القيمي يتسم بالثبات النسبي، فالمجتمع يرى أن المرأة عورة، والعورة شيء حرام ومقدس، وربما ترمز إلى هذه القيم مطلقة، أو فوق– زمانية وفوق– مكانية ولهذا تبقى الوصايا الأسرية، ويكون هم الأسرة الوحيد زواجها.

ونظراً إلى أهمية هذا النسق القيمي، فإن الهاجس الوحيد الذي يسيطر على أسرة البنت هو صون شرفها.

هذا القيد الذي تمثل بـ (العادات والتقاليد) قد حاصر حياة الشخصية الرئيسية (ختام) وهي في مرحلة النضج والاكتمال لأنها تحتل لقب امرأة إذ وقع عليها مهام الحفاظ على شرفها

وشرف العائلة التي تنتسب إليها، وأول ما تمثل هذا القيد في حياتها بفرض الحجاب الذي يشكل فضلا عن كونه واجب ديني فرضا على كل مسلمة، فأصبح يمثل سلاحاً تفرضه الأسرة على بناتها حفاظاً على شرفهم كما ذكرنا سابقاً بأن البنت عورة،فيوضح لنا الراوي موقف الأهل من الحجاب وردّة فعل ختام تجاه هذا الأمر المفروض عليها وعدم الاقتناع بالمبادئ والعادات التي تؤمن بها الأسرة فقول " في صباح اليوم التالي، وبينما أهم بفتح الباب والخروج إلى المدرسة، أوقفتني أمي– وبيدها غطاء الرأس– قائلة – أصبحت الآن شابة وجميلة، وأصبح شعرك عورة ومنبع للغواية، وعليك أن تستريه وتخفيه عن أعين الرجال. تسلحت بكل ما أوتيت من عناد وشراسة وصرخت: لا... أقفلت أمي الباب ودست المفتاح في جيب ثوبها، وأفهمتني أن خروجي من المنزل أصبح منذ الآن مشروطاً بالحجاب.. قضيت نهاري في غرفتي لم أبرحها، ولم أتناول يومها طعامي.. وفي صباح اليوم التالي وبينما أمي تؤدي صلاتها، لبست على عجل وحملت حقيبتي وانسللت إلى الخارج قبل أن يحين موعد الذهاب إلى المدرسة... ضربتني أمي عند عودتي بخرطوم المياه حتى ازرق جلدي واستمرت آثار الضرب على جسمي أياماً "[٣٠]

إن البحث في موضوع المرأة في المجتمع العربي يشعر الباحث فيه أنه يسير بحقل من الألغام وإنه يصطدم في كل خطوة من خطواته بالكثير من القيم الاجتماعية، والمقدسات الحساسة في المجتمع، ولابدّ لنا عندما نجري بحثاً علمياً أو طبياً أو نفسياً في أي أمر يتعلق بالمرأة يجب الأخذ بنظر الاعتبار وبالدرجة الأولى الأفكار والتقاليد التي يؤمن بها المجتمع الذي تنتمي إليه جنس المرأة . إن التقاليد مسؤولة إلى حِد كبير عمّا تُرمى به المرأة اليوم من التخلف والعجز عن مواكبة الحياة بمراحل الحياة كلها، فما كان من (ختام) بطلتنا المتمردة إلا رفض هذا التخلف الذي سيقودها إلى طريق الهاوية، والعمل بجدية إلى تغيير هذه النظرة المتخلفة التي يحاول البعض التمسك بها ليشكل قانون الحياة التي يسير عليها الفرد،وأن اختلال هذا القانون سيؤدي إلى عواقب لا تغفر فهاهي (ختام) تتمرد على حكم (الأم) بعدم لمس الفتاة الحائض لأشياء كثيرة لأنها سوف تفسده إذا لمسته يقول الراوي على لسانها" خلال فترة الحيض كانت أمي تلاحقني وتراقبني، فأنا لست طاهرة، وثمة أشياء كثيرة لا يجوز لي أن أمسّها، فيجب عليّ مثلاً ألاّ أغطس يدي في أواني الجبن والزيتون والمخللات لئلاّ

تتلف... مددت في اليوم الأول إصبعي في كل الأواني، وانتظرت حتى اليوم الثاني، فلم يحدث شيء، غطست في اليوم التالي كفي بأكملها وانتظرت مترقبة فلم يحدث ما تخشاه أمي، ولمّا غطست ذراعي حتى قاع كل منها ولم يفسد أي من الأطعمة.. أيقنت أن أنوثتي ليست دنساً وتلفاً، وهذا ما جعلني أرفض كل الطقوس والأدعية التي نصحتني أمي بإتباعها من أجل التطهر من الدنس بعد انقضاء الطمث، ولتذهب كل الوصايا والقوانين إلى الجحيم وبئس المصير" (٣١)

ويظهر أن محاولة (ختام) تجاوز الأزمة بمحاولة تحقيق التوازن من دون جدوى، لأنه يتمزق تحت تأثير التناقضات التي يراها حوله، والتي صنعها التخلف والظلم والقهر والعلاقات الاجتماعية السائدة والعلاقات المتوارثة مما يجعل التشاؤم والإحساس بالمرارة يغلب على نظرتها ورؤيتها للحياة.

فالإنسان المثقف هو الذي تقع على عاتقه ثيمة التمرد وهذا ما عزز تلك الثيمة لدى(ختام) وصراعها المستديم بين قيود المجتمع ومعاييره، وبين طموحاتها وما يحاول المجتمع أن يفرضه على أبنائه وممّا يمليه عليه من شروط صارمة يضعها على حساب حرية الإنسان المثقف الذي سيشعر بوطأة هذه القيود التي بدورها تشل حركة الإنسان من جهة، وتقف ضد تطلعاته ومطامحه ورغبته في إقامة حياة كريمة تشعره بمكانته وقيمته، من جهة أخرى فالمجتمع " يطلب الخضوع للمعايير السائدة (سواء كانت معايير اجتماعية أو عقلية أو فنية) ومتطلبات الذات الإبداعية تختلف عن ذلك فهي تحتاج تجاوزاً تخطياً للمعايير السائدة ويرفض المجتمع معاييره بأشكال مختلفة منها المعارضة والعقاب والإهمال ويخلق هذا التعارض بين النوعين من المتطلبات تنافراً معرفياً " (٣٢)

يقول الراوي موضحا على لسان ختام عبر السرد الذاتي كيفية إجبار الأهل لها على فكرة الزواج متناسياً أي رأي لها فتقول: " رأى أفراد الأسرة بعد أن تخرجت ودخلت مجال العمل– أنه لم يعد لي من مسوغ لرفض عروض الزواج– حتى صار أخي محمد يستقبل بنفسه كل من يتقدم طالباً الزواج مني، يناقشه بكل شاردة وواردة يتفق معه على كل صغيرة وكبيرة، وكأن الأمر يهمه أكثر مما يهمني، فإذا اقتنع بالرجل حاول إقناعي، وإن رفضت حاول فرضه عليّ، تسانده أمه وبقية أفراد الأسرة، رفضت جميع عروض الزواج التي جاءتني عن طريق

الأسرة، فالزواج عندي ليس غاية بذاتها، ولم أكن أنشد من الأزواج إلاّ من سأحب وأعشق من سيساعدني على الخروج من قوقعتي، من سيمسك بيدي ويقودني إلى بر الأمان؟! مجتمعي المغلق، ومحيطي الضيق، لم يتيحا لي الفرصة للقاء، بذلك الرجل، ولكن كان أهون عليّ ألف مرة أن أعيش دون زواج من أن يكون مصيري كمصير أخواتي" (٣٣)

فكان من نتائج التمرد أن خلقت حالة من الاغتراب لدى (ختام) التي كانت تتمتع بقدر من الوعي والإحساس بمشكلات الأمة ومعاناة الأنثى في المجتمع العربي، وغالباً ما يحدث اغتراب المثقف نتيجة تحطم الآمال مع القيم والتقاليد السائدة، وهنا نرى عامل التمييز الجنسي قد أخذ يتجسد دوره بفرض القوانين الصارمة على الأنثى الطرف الضعيف الذي يبقى خاضعاً لعبودية الذكر، إن الإنسان وقضاياه هو البداية والنهاية في رواية (أشرعة ممزقة) عينة الدراسة التي يتجسد فيها الإنسان في غربته واغترابه وحزنه وقلقه، وفي عذاباته وطموحاته وخيبة آماله، فالكاتبة وضعت (ختام) أمام تحديات الواقع، فبرزت فيها أزمة المثقف، المأزوم الذي تواجهه (ختام) الشخصية المثقفة في وجودها ضمن واقع مكبل بالمعوقات والعراقيل على مختلف المستويات، مما دفع بها إلى الاغتراب السلوكي في تعاملها وخلق حالة التمرد مع أسرتها أولاً ومن ثم ضد العادات والتقاليد التي يفرضها المجتمع على (الأنثى) والذي يرتبط طبعاً بطبيعة التفاعلات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات التي تعيش (ختام) كفرد في هذا المجتمع، مما ساعد كل هذه على تأزم شخصية (ختام)،وخلق حالة من الاغتراب النفسي الذي يعد انعكاساً للأزمات والتفاعلات في شبكة العلاقات والقيم الاجتماعية،وعلى هذا المستوى لا تنفصل (ختام) بمكوناتها الشعورية والإدراكية والفكرية عن واقعها بمختلف شرائحه ومستوياته.

ونجحت الكاتبة (سوزان مصطفى) في زج (ختام) في علاقات متشابكة، فيقذفها القدر إلى الولوج في لجة الحياة لتقف وجهاً لوجه أما تيار الحياة الدافق بتناقضاتها كلها. وهي ترى بأن المساس بخصوصيتها المتفردة التي تميزها عن غيرها من أبناء جنسها يعني لها السقوط والاضطهاد الاجتماعي أو الموت، فالمجتمع الذي يكسب الفتاة شرعيته واعترافه لها، وبه الفتاة تحافظ على وجودها، كان عليها أن تحبس طاقاتها العقلية، وتكبت عواطفها الإنسانية، وتكبح غرائزها الحيوية لتتقمص سلوكية متذبذبة قائمة على تصرفات متجاذبة بين الطاعة

والتبعية، والصبر المغموس بالشعور بالذنب بين الغواية، والكيد والثرثرة والحقد والحسد والانتقام. في الحقيقة إن جزءاً كبيراً مما يسمى (مازوشية المرأة) ليس سوى ارتداد عدوانيتها المتفجرة نتيجة العدوان المزمن إلى ذاتها، أما الجزء الآخر، فيتخذ سبيله إلى ممارسة الكيد والدس والحقد والحسد التي تشتهر بها بعض النساء، أو يشاع اجتماعياً اشتهارها بها.

وعليه نقو انه لكي تعامل المرأة كإنسان له قيمته الذاتية بسبب قدرته على العطاء والإنتاج والإبداع، وليس لكونه ملحقاً بالرجل.

وختام تؤكد على شخصيتها المتمردة بقولها: " أخواتي البنات جميعاً نشأن خاضعات لا يجدن سعادتهنّ وأمنهنّ إلاّ بالتبعية للأهل أولاً ومن ثم للأزواج، كانت أمي وما زالت تصر، وأخواتي يسلمنَّ أن الأنوثة لا تمثل قوة الشخصية وتفوقها، بل ضعفها ولازلن يؤكدن أنه ليس للأنثى من هدف سوى أن تلفت الأنظار برقتها وحيائها، وتكون محط حب وإعجاب نشأن جميعاً عاجزات عن الحب، ساعيات أبداً أن يكنّ محبوبات جميعهنّ قاصرات عن أن يكن مستقلات يبحثن أبداً عن الحماية والعون في كنف الأزواج، ولا يجدن هناءهنَّ الوجداني إلاّ بطاعتهنّ لأزواجهنَّ يبحثن في الزوج عما ينقصهنَّ، بدلاً من أن يبحثن عن هويتهنَّ داخل أنفسهنَّ فنجاح الزوج هو نجاحهنَّ، رغم أنهنَّ لا يجنَّ من نجاحه سوى الفتات، رفضت الزواج على طريقتهم، رغم جميع الضغوط التي مارسوها لإخضاعي، والتي توصلت إلى حد الضرب من قبل أخي محمد في كثير من الأحيان" (٣٤)

إن الرجل العربي يعوض عن قهره النفسي وانسحاقه الاجتماعي بتفريغ قهره وهمومه مهانته على زوجته من خلال أداء دور السيد الذي تخضع له المرأة، إنه يستعبدها ويستغلها ويحولها بالتالي إلى أداة تخدمه " تنجب له الذرية التي تعزز قوته الذكورية " (٣٥)

لذا كان على المجتمع ان يحفظ مكانة المرأة الاجتماعية لما تملكه من منزلة وإلاّ تتفاوت في نظر الرجل ونظر المجتمع عموماً بين أقصى الارتفاع (الكائن الثمين، مركز الشرف الذاتي، رمز العطاء البشري)الذي يبدو في الأمومة وبين أقصى حالات التبخيس: المرأة الصورة، المرأة رمز العيب والضعف، المرأة القاصرة الجاهلة، المرأة التي يمتلكها الرجل مستخدماً إياها لمنافعه المتعددة وفي إطار هذه الأيديولوجية السائدة لم يعد الرجل يرى في المرأة أن مصدر

شرفها في عقلها أو نفسها إنما في جسدها، لذلك فإن أي مساس به يعني السقوط في الرذيلة والإثم، فالمرأة في المجتمع السوري وكبقية الأقطار العربية " تعيش في كنف عائلة زوجها لكي تضع واحداً تلو الآخر من دون أن تعي أو تفكر لحظة واحدة فيما إذا كانت فعلاً تحب الرجل الذي تقاسمه الحياة الذي يعيلها والذي تلد له أبناءه، كأنه ليس من حقها العيش ككائن بشري له رغباته ومشاعره وميوله الخاصة به"[٣٦]

فهي ككائن دون الرجل وكأداة لمتعته يستغلها كما يريد وقد يستبدلها في حال لم تعد ترضي رغباته ومتطلباته.

فالمجتمع يرى تمرد (ختام) برفضها الزواج التقليدي بأنه نوع من الشذوذ والغرابة مما دفع الشخصية إلى الاغتراب النفسي والسلوكي فنقرأ عبر السرد الذاتي على لسان ختام فتقول: " عشت وسط الأسرة غريبة، وحيدة اعتبروني فتاة شاذة غريبة الأطوار، تهزأ وتسخر من كل شيء، حتى القيم والمقدسات، قالوا: إنني أحمل أفكاراً متطرفة، صعبة التحقيق، جميعهم يوجه إليَّ النصائح: عليك أن تكوني واقعية، وإلاّ قتلتك العزلة والغربة ضروب المرارة روحي، وضروب التناقضات ما بين عالمي الداخلي والخارجي جعلتني عاجزة عن فرض ذاتي بصورة طبيعية سواء في البيت أو الجامعة أو العمل،ففي الجامعة قضيت السنوات وحيدة غريبة، يعرفني الجميع من خلال تفوقي فقط، أما على الصعيد الاجتماعي فاتهمت بالتقوقع والعزلة ووصمت بالتعقيد النفسي، فمن كن يشبهنني شكلاً، اختلفت عنهنّ بالمضمون، ومن يشابهني بالجوهر لا يرتاح إلى التناقض الصارخ بين شكلي والمضمون، وتلك كانت المأساة "[٣٧]

فختام تعيش في صراع دائم مع الحياة التي تحاول أن تأسرها في بودقة الخضوع والاستسلام لإرادة التخلف والجهل والتراجع عن خضم التقدم والتطور، فهي بقواها الفكرية والإنسانية والأخلاقية كلها تحاول كسر قيود الماضي المتمثل بالتبعية والهروب من دوامة الرتابة والثبات كي تحقق لنفسها الحرية التي تؤمن لتحقق لها السعادة الدائمة فإن هذا التمرد الناجم عن التصادم المعرفي القائم بين الإنسان من جهة وبين العالم بمختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية يشكل حافزاً يحرك ثقافة العصر، ويقود عجلة التقدم والتغيير إلى الأمام ويمكن أن نعد هذه (الصحوة) دعوة للواقع الصحيح ضد التصورات والأطر المرجعية

المباشرة (العائلة، والقبيلة، والجماعة المذهبية، وما يجب أن نعيه أن هذه (العودة) أو (الصحوة) لا يمكن لها أن تتم في أطرها التقليدية من حيث أنها، أي هذه الوحدات أو الأطر هي الأخرى قد انعتقت ولو جزئياً من تقليديتها بفعل التغييرات التي أصابت المجتمع وبالتالي وحداته القرابية والمذهبية فيقول: أريك فروم " إن الفرد يكف على أن يصبح نفسه! إنه يعتنق تماماً نوع الشخصية المقدم له من جانب النماذج الحضارية، ولهذا فإنه يصب تماماً شأن الآخرين وكما يتوقعون منه أن يكون. إن الهوة بين (الأنا) والعالم تختفي ويختفي معها الخوف الشعوري بالوحدة والعجز، وعلى أية حال فإن الثمن الذي يدفعه غالٍ، إنه فقدان نفسه " [٣٨]

نظراً لأهمية النسق القيمي الذي تؤديه العادات والتقاليد في حياة الأسرة العربية، فإن الهاجس الوحيد هو صون البنت شرفها وهذا يكون عن طريق الزواج،لذلك فإن المرأة تتعلم وتعمل لتتزوج فالزواج سترة لها كما يقول المثل وضمان اجتماعي واقتصادي في الوقت نفسه، فالمرأة غير المتزوجة تبقى عبئاً على أهلها، ذلك أن الرأي العام يرى في الزواج معيار النجاح النسائي، وقد كتب أحد الباحثين العرب يقول: " درج التراث العربي ككل على أن يكون هنا حاجز ولو وهمي بين الذكر والأنثى في المجتمعات العربية، ويلعب مفهوم الشرف دوراً فعالاً في إقامة مثل هذا الحاجز، ويبدو أن منزلة الرجل تقاس بمقدار دفاعه عن الشرف، والشرف في هذه الحالة لا يعدو أن يكون وضع الحد الفاصل بين لقاء الذكور والإناث هذا الحاجز لابدّ من حمايته وصونه وإلاّ تعرضت الفتاة للهلاك"[٣٩]

فما كان من (ختام) إلاّ إن تتمرد على هذه التقاليد المتعارف عليها ورغبة الأهل الملحة على أن تقبل فرص الزواج التي كانت تُتقدم لها عن طريق الأهل والدور الذي يؤديه أخيها (محمد) باتباعه وسائل غير مشروعة في أرغامها على الزواج من الشخص الدي يراهُ هو مناسباً لها من دون ان يؤمن بأن رأي الفتاة ضروري لأداء هذه الخطوة المهمة بحياة (ختام).

إن المجتمع الصغير (الأسرة) يقف ضد بعض مظاهر هذا التمرد الأنثوي على العادات والتقاليد الذي جاء من خلال تضخيم (الأنا) من قبل (ختام) فقد كان تمرداً ذاتياً في معظم حالاته خاصة وإنهاعلى ركزت الخلاص الفردي أكثر مما ركزت على الخلاص الجماعي،

وانقادت لتيار العاطفة الجامعة وضربت بعرض الحائط المبادئ الإنسانية السامية ومع ذلك نستطيع أن نقول أن هذا التمرد ظل ضرورة لولادة مرحلة أنثوية من نوع جديد.

ولما كان المجتمع العربي لم يشهد ثورة تقانية وعلمية، وإنما تغيرات فوقية تجلت في تحديث قطاعات التربية والتعليم، فإن الموروث الثقافي ظل نسبياً محافظاً على ذاته، وخصوصاً فيما يتعلق بالنظم القانونية والقيمية والاقتصادية للمرأة العربية، إن بعض هذه النظم تعود إلى القرون الخوالي وأصبحنا نتوارثها جيلاً بعد جيل، بحيث أنها أصبحت من مكونات عقليتنا والتشريعات المتعلقة بالمرأة، فإن العقلية الرجالية لم تتغير، لقد تراجعت السلطة الأبوية إلى حد ما مادياً لكنها لا تزال قائمة في التقاليد والعادات والثقافة، إن انعتاق المرأة من الحجاب لا يعني أبداً فكرها وشخصيتها وعقلها طالما لا تنعتق من الموروث الثقافي الذي شكل حتى الآن حجاباً على عقلها أصبح الحجاب حجاباً بين المرأة والحياة، فحجب عقلها وقيد حركتها ظلت المرأة ردحاً طويلاً من الزمن محجوزة في خدرها، منفية عن المجتمع وترتب على ذلك كله أن تحول مفهوم الحريم إلى حريم سياسي وثقافي، واجتماعي وإلى انقسام المجتمع إلى مجتمع رجال، ومجتمع نساء لكل منهما ثقافته الخاصة به، فإن " الحركة، الولادة، الموت، البحث عن الحقيقة، هذه كلها تشترك في موقف الرفض، إذ أن كل ولادة تجدد، وكل تجدد نقص، وكل بحث عن الحقيقة رفض للقبول بالحقائق في وضعها الراهن، وهذا السفير الأبدي بين الشكل والسديم هذا الرصد للتكون، رفض للعالم في أشكاله وصيغه

وقيمه الراهنة الثابتة فالرفض أو (الهدم) كما يقول هيدجر هو لحظة بناء جديد" [٤٠]

فالرواية على أية حال تطرح جدلاً عميقاً لمدى مسؤولية المجتمع والمرحلة ومسؤولية الشخصية المثقفة إزاء الأزمات التي تواجه الإنسان، ضمن سياق جدلي تتداخل فيه الأسباب والنتائج في آن واحد فإن ثبات النسق القيمي أمام التغيير الاقتصادي والاجتماعي إنما " يعمق الهوة بينها وبين المجتمع ويجعل كثيراً من المعايير الثقافية لا يلاءم وظيفياً مع المواقف الاجتماعية التي تستخدم فيها فتعرقل مسيرة المرأة" [٤١] تجاه التقدم والتطور لقد عملت ختام عبر حوارها الداخلي على إصرارها على المقاومة والصمود حتى إثبات الذات تجاه التقدم والتطور يقو الراوي: "كنت أقول لنفسي: اصبري يا ختام، إنك مازلت على عتبات العمر

والمستقبل وغداً أو بعد غد، سوف تشرق شمس جديدة، ألست تناضلين من أجل ذلك المستقبل؟! سوف تفخرين يوماً بأنك أنت التي صنعته بنفسك كان هذا الأمل يسوغ لي آلام يومي، ويجعلني أحدق إلى الأمام رغم أنني أسير على الأشواك في دروب جافة مقفرة " (٤٢)

ولعل أسمى مهام التمرد الذي تميزت به شخصية (ختام) بأنه " تكمن وراءه إرادة التغيير، وليس استجداء الراحة والسلام" (٤٣)

فهو تمرد إيجابي هادف ولا يرتفع إلى " مستوى الجدلية الخلاقة إلاّ إذا تخطى صراع البدائل السطحي وتمكن من إنتاج النقيض الحقيقي الذي يشكل نقلة نمو نوعية واضحة" (٤٤)

فالشخصية (المتمردة) ترفض الانزواء في الزوايا المعتمة محاولة المشي الدائم في وضوح النهار مبتعدة عن أسلوب التخفي تحت وطأة الليل المعتم، فالتصميم ورفض الانصهار في بودقة الماضي يجعل الشخصية تنسلخ عن العالم المألوف المتعارف عليه والذي أصبح عالماً شديد الرتابة والملل، والرغبة في البحث عن عالم جديد والذي يمكن للشخصية أن تجده بعلاقتها بـ (حسان) وبذلك فإنه " حينما تتجرد (الأنا) من العالم المألوف للحياة اليومية، تشتاق إلى وجود أكثر عمقاً، وأشد أصالة، وتتردد بين عزلتها وبين حياة المجتمع اليومية"(٤٥)

يكشف الراوي ردّة فعل أخيها (محمد) على علاقتها بـ (حسان) ورفضها التنازل عن حقها والاستسلام لقيود المجتمع ولإرادة التخلف والتراجع فتقول: " عاد محمد إلى البيت وتربص لي، وما إن ولجت حتى قبض على شعري، وجرني إلى غرفتي، دفعني بكل ما أوتي من قوة فطرحني أرضاً أقفل الباب من الداخل، وتحول إلى وحش كاسر، الشرر يتطاير من عينه ومن كل وجهه، أمسك بمزهرية زجاجية كانت على منضدتي قاعدتها خبطها على طرف المنضدة فانكسرت فوهتها، اقترب مني أمسك شعري دفع برأسي إلى الخلف وضع حافة المزهرية على عنقي مزمجراً.. اعترفي.. ما الذي بينك وبينه؟! قلت أحبه.. رمى المزهرية من يده وانهال عليَّ ضرباً ورفساً وشتماً.. تحبينه أيتها القحبة؟! وتجرؤين على الاعتراف رفضت كل من خطبك من أبناء الأصول والشرف كي تجري وراء هذا النذل! ألم تعثري بين أبناء طائفتك على من هو أجدر بالحب من هذا القواد؟! أضاقت الدنيا بك تعثري إلاّ على ابن القحبة حبيباً" (٤٦)

تجد (ختام) في موقفها المجابهة ومعارضة الأهل لعلاقتها (بحسان) إعادة لتأكيد ذاتها التي تحاول تيار المعايير والقيم الاجتماعية السائدة والتي حجبت فكر الإنسانية عن التقدم والتطور وجذبه إلى الانغماس في بحر من الركود والسكون والتخلف فما كان من الشخصية إلاّ الرفض الإيجابي كخطوة أولية للتمرد ذلك أن " الرفض الشامل يحمل له بركة ويمنا أكثر من أي مامل إيجابي، وترى عبارات الرفض (لا، ليس، هذا ليس ذاك) التي يواجهها إلى كل درجات الدائرة تجمع نفسها في رغبة بالعدم الشامل" (٤٧)

إن الروائية (سوزان مصطفى) قدمت صورة للمرأة المومس التي تضطرها الظروف الاجتماعية والاقتصادية للانحراف، فظهرت (مريم) ومن خلال صورة (مريم) يستخلص الدارس أن القهر الاجتماعي لا يمكن أن يقتل الروح الإنسانية في المرأة، فحالما ترتفع هذه الظروف تعود للمرأة إنسانيتها المستلبة إذ حين تجد (مريم) من يحبها ويغير أوضاعها الاجتماعية تتغير نفسيتها وتبدي إخلاصاً منقطع النظير للرجل الحامي المحورية يقول الراوي واصفا شخصية مريم على لسان ختام تلك الشخصية التي حكم المجتمع عليها بأقصى العقوبة لمجرد أنها أنثى فتقول: " مريم من كاد يقتلها وأطفالها الجوع – قحبه أمام جميع من ابتزها واستغل جوعها وجوع أطفالها، وانتهك روحها والجسد فإنّهم بالشرف يرفلون! وحسان صاحب النفس الزكية، التي تفيض حباً وخيراً، ليس بنظرهم سوى قواد نذل، انتماؤه الطائفي تهمة، علماً أنني لم أختر ولم يختر طائفته وإنما اتبعونا بما كان آباؤنا يتبعون" (٤٨)

إن (مريم) بالطبع ليست أنموذجا أو نمطاً للمرأة في بلادنا العربية ولكن (سوزان مصطفى) تدفع بالحالة إلى منتهاها الأقصى لتصوير حجم الاستلاب والمأساة التي تعيشها المرأة، فالرواية تطرح قضية الإنسان نفسه وهو يعاني وسط أكوام من التخلف والاستغلال والاستلاب وانعدام المساواة ليس بين المرأة والرجل فقط، وإنما بين الطبقات والشعوب، فتكون دلالة المعنى الأخير هو كيف يمكن للمرء أن يكون حراً إذا أفقده أخاه الإنسان حريته، فالاتحاد بين (ختام) و(مريم) إنما قد تم من خلال ثيمة التمرد على عالم القيود الذي يفرضه المجتمع الرجل، ، لأن عالم الذكورة يفرض أقسى قيوده وحرمانه على جسد المرأة أولاً، بل وعلى صوتها بوصفه عورة ثانياً ، فيعمل على تحجيب الجسد وتكميم الصوت وخنق حتى

الأفكار والأحلام وإدخالها في قائمة العيب والممنوعات وبهذا المعنى يمكن القول إن (عفة) المرأة تتحقق فعلاً حين تنأى المرأة نفسها عما يشينها، وليس حين توضع في قمقم مغلق بعيداً عن تجارب الحياة والاختبارات الحرة للإنسان وعلاقته بـ (ختام) بعقد غير شرعي، فهذا السبب الرئيسي رفض أهل (ختام) علاقتها بـ (حسّان) ابن مريم الذي ظل يحمل خطيئة أمه على رغم أنّها تزوجت من (أبي خالد) الذي منحها كل الحب والرعاية فنقرا ختام وهي تصف لنا حياة مريم المومس سابقاً وحياتها بعد أن وجدت الأمان والاستقرار والمعيل لها فتقول: "كرست مريم حياتها لجعل حياة أطفالها وزوجها أكثر هناءً وصفاءً سخّرت نفسها لخدمتهم وتأمين متطلباتهم، هجرت العالم إلى حدود بيتها، فكان العالم يهدر من حولها وهي خارج هذا الهدير، غير عابئة بسمعتها السيئة التي سبقتها إلى الحي، وغير مكترثة لنبذ الجميع لها ولأطفالها كانت على يقين أن حياتها الجديدة وسلوكها الحالي لابدّ أن ينسى الناس ماضيها، والزمن كفيل بحل الكثير من المعضلات" (٤٩)

ويمكننا القول أن التمرد عند (ختام) نابع من إرادة حرة، ومن شخصية واعية، شخصية إنسانية كانت قد هضمت الحياة ووصلت إلى مستوى تدرك ما هو صالح منها، وما هو ضار فيها، ولكون عدم الرضوخ لمخلفات الماضي يخلق موقفاً إيجابياً يتطلب قدرة على الاحتجاج والمجابهة، بل يتطلب من الشخصية أن تكون صاحبة قوة وإرادة، حتى تتمكن من تحقيق وجودها في معترك الحياة في محاولة منها لملئ الفراغ الذي تشعر فيه الشخصية المتمردة فهي شخصية مثقفة تحمل شعلة الرفض للقيود والجمود ورفض الانكسار والاستسلام، رغبة لنيل الحرية التي من خلالها تحيا الإنسانية. فإن " الإنسان الثقافي المتطور هو الإنسان الذي يستطيع أن يخلق عالماً مناقضاً لحقيقة المادة، وإن الإنسان المتخلف أو الأقل تطوراً هو الذي يمثل المادة نفسها، أي أنه هو نفسه موضوع المادة التي يعتني بها ذلك الإنسان المتطور" (٥٠)

وبهذا تحسدت أعلى درجات التمرد في (ختام) في موقف الرفض من قبل الأهل لعلاقتها بـ (حسّان) الذي يدعى أبن مريم (المومس) التي هي أيضاً كانت ضحية المجتمع التي اضطرتها الظروف الاقتصادية للانحراف، فـ (ختام) الشخصية المتمردة هي فتاة مثقفة مستقلة الشخصية، والإرادة، وقادرة على اتخاذ القرارات المنسجمة مع مفاهيمها وقناعاتها التي بها

استطاعت أن تواجه أهلها ووقوفها موقفاً معادياً ضد من يقف بينها وبين (حسّان) الشاب الذي أحبته على الرغم معرفتها ما سوف تثيره هذه العلاقة من حرب قد تكون هي شهيدتهافتصف طبيعة علاقتها بـ (حسّان) والوسائل التي حصنت بها نفسها قبل أن تخوض هذه المعركة فتقول: " على الرغم من كل حرصي على التخفي والتواري عن عيون معارفي في لقائي بحسّان، إلاّ أن علاقتي بابن مريم وصلت إلى محمد، محمد الذي مزقت روحه الضالة والآلام، رأى بالأمر ما يمكن أن يعيد إليه بعض رجولته المفقودة وفحولته الضائعة، فراح يترقبني ويتتبع خطواتي إلى أن رآني متلبسة بالجرم المشهود!! كان ذلك قبل موعد رحيلنا بيومين اثنين، وكنا على أتم الاستعداد للسفر ففي حقيبة يد كل منا جواز السفر وعليه تأشيرة الطائرة" (٥١)

لكن (ختام) تطلق صيحة التمرد من خلال قرارها بالهروب إلى حيث يقطن (حسّان) في مدينة طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان لتحصيل الدراسة بعد أن قضيا معاً سنة دراسية في معهد العلوم السياسية الكائن في بلدة تل مين على مبعدة كيلومترات من العاصمة، قبل الإيفاد إلى الاتحاد السوفيتي وهو المكان الذي توطدت علاقة (ختام) بـ (حسّان) ابن مريم الذي كان هو أيضاً ضمن الطلاب المعيدين المهيئين لهذه المهمة يقول الراوي " أصبحت أصبو إلى الفرار أكثر من أي وقت مضى، الفرار من أعراف مجتمعي الجائرة الأعراف التي لم تكتسب قداستها إلاّ بفضل أكاذيب ضالة تعودنا وألفناها مع مرور السنين. أهرب من مظالم تسوغها أعراف بالية تدعمها القوانين، لابدّ لي من الهروب. إن لم يكن إلى حسّان فإلى أي مكان آخر، لم أعد احتمل العيش في مجتمع يتصف إلى هذا الحد من غش بشع، وطائفة مقيتة ورياء بغيض يفسد الفكر ويبلد الأحاسيس"(٥٢)

فهي صيحات تطلق ضد سلطة البنية الأسرية والعادات والتقاليد التي تفرض على الأنثى الرضوخ والانقياد لكل ما يفرض عليها فالطرفان يخوضان معاً المعركة ضد مظاهر وتجليات كل أشكال الاضطهاد الاجتماعي والثقافي بما في ذلك اضطهاد المرأة، فالرجل المضطهِد (بكسر الهاء) هو في المحصلة النهائية ضحية موضوعية لتاريخه الاجتماعي. ربما منذ تقسيم العمل الإنساني، ولكنه ليس مذنباً بما هو فرد أو شخص راهن، بل إن كثيراً من النساء قد تمت برمجتهن تاريخياًعلى وفق النظرة الذكورية للمرأة، فراحت النساء تتماهى في

سلوكها العدائي ضد المرأة إلى جانب الرجل نفسه، فيما نرى في المقابل ملايين الرجال يصطفون إلى جانبها و تعترف أن هذا الموقف كان أحد لحظات الحسم في حياتها رداً لما جابهته من مصاعب. و تصف لنا ختام الخطوة التي أقدمت على اتخاذها بعد هروبها من أهلها إلى طشقند حيث يقطن حسان هناك لأكمال دراسته في الجامعة الأوزباكستانية.

ومن خلالها يمكننا معرفة إلى أي مدى تختلف العادات والتقاليد والثقافة الاجتماعية في البلدان الغربية عن العربية فيما يتعلق بقضية الزواج وإجراءاته فتقول: " ذهبت برفقة حسان بعد انتهاء عطلة رأس السنة إلى إدارة الجامعة لإتمام ما يستلزم من إجراءات، ثم توجهنا بعد ذلك إلى مكتبة عقود القران، مصطحبين ما يلزمنا من وثائق وأوراق ثبوتية، خرجنا من هناك زوجين على أن نعود بعد شهر لاستلام وثيقة الزواج، إذ جرت العادة هناك أن يمنح الزوجين فترة شهر للعيش سوياً والتأكد من مشاعرهما ورغبتهما في الاستمرار بالعيش المشترك قبل أن يتسلما شهادة الزواج"[٥٣]

ويظهر أن (ختام) بعد سفرها إلى (حسان) هروباً من أهلها وتجاوز الأزمة بمحاولة منها تحقيق التوازن ولكن دون جدوى، لأنها تتمزق تحت تأثير التناقضات والظلم والقهر والعلاقات الاجتماعية السائدة تجاه المرأة والعادات المتوارثة، مما يجعل التشاؤم والإحساس بالمرارة تغلب على نظرتها ورؤيتها للحياة، ويمكن القول أن " تفاقم السطحية، وافتقاد الحميمية في العلاقات بين الناس، والانفصال عن القيم والأعراف السائدة في المجتمع في نظر ريتشارد شاخت من ملامح الاغتراب"[٥٤] يصف الراوي موقف القدر من ختام على الرغم من إحساسها بأنها انتصرت عليه بإثبات ذاتها والتي حاول هو بدوره إضفاء ملامحها كمرأة من حقها العيش بحرية واستقلال فتقول: " وها هو القدر يلعب لعبته، كنت وما زلت أخشى لهو القدر، هجم الموت على واحتي بحرية، طعن الحبيب، قطع الشريان والوريد، غاب واحتي بين طيات الزوال، خرست بلابلها الطروب بدل الحمام هديله بالنواح، ولى عهد الفرح واندلح السرور ساد الظلام وجف الينبوع تكسرت أغصان الرياض لتوضع فوق القبور لملمت حمولتي، لاعنة قدري، أسير في طريقي، أجر قدميّ، خطوة إلى الأمام ونظرة حارقة ودمعة إلى الخلف...

صعدت الطائرة من طقشند باتجاه موسكو، بنيتي بين ذراعي والجسد الطاهر مسجى في صندوق مقفل... توجهت إلى السفارة السورية في موسكو لأسجل ابنتي على جواز سفري كي يتسنى لي اصطحابها، إلاّ يقولون (موت وغصة قبر) رفضوا في بادئ الأمر تسجيل اسم ابنتي على جوازي قالوا: إنها ابنة غير شرعية، ثمرة زواج غير شرعي. بل زواج مدني لا تعترف به المحكمة الشرعية في بلدنا، أذهلتني المفاجأة، تجاربي الفقيرة في الحياة لم تتح لي فرصة للتفكير بأمور كتلك، ولم يخطر ذلك ببال المرحوم أيضاً"[٥٥] فالحب عند (ختام) شكل من أشكال النضال في مواجهة الموت ونرى في رفض السلطات الحكومية الاعتراف بنسب ابنة (ختام) (فرح) معادلا موضوعياً لرفض الأم لابنتها الموقف الذي تعرضت له (ختام) من قبل أمها، ورفض الأم لتقبلها ومنحها الحب والرعاية والحنان. وكأن حياة ابنتها (فرح) هي صورة معادة (فلاش باك) لحياة ختام (الأم) وحالة التمرد والاغتراب التي عانتها من قبل البنية الأسرية والبنية الاجتماعية والمتمثلة بالعادات والتقاليد التي نما عليها أبناء المجتمع الواحد في بيئة واحدة.

وتعود (ختام) لتفرض تمردها من جديد في مجتمعها الذي عادت إليه بعد وفاة زوجها (حسان) واقفة وحيدة في هذا العالم الشرس الذي يحدّ أنيابه تجاه (المرأة الأرملة) وتبدأ لوائح العادات والتقاليد التي يجب أن تفرض على المرأة إذا منحت هذا اللقب وعليها أن تنصهر في بودقة ما يفرضه عليها الدين والشرع والعادات والتقاليد.

ولكي تنزع (ختام) الأرملة حريتها وتمارس وجودها بعيداً عن القوالب الحديدية التي تضغط على حياتها وسلوكها، ترفض التقيد بالعرف الديني الذي يفرض على المرأة أن تلزم العدة لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام لمن توفي زوجها ففي حوار بينها وبين أمها وهي تمنعها من السفر حتى انقضاء العدة فتقول: " صرخت أمي غاضبة لا يجوز أن تغادري البيت قبل انقضاء أربعة أشهر وعشرة أيام على وفاة زوجك، لابد من التقيد بالعدة، فطنت حينئذ أنني لم ألتق خلال الفترة الماضية بأي رجل سوى أبي وأخي محمد، أجبتها:

– أمي، منذ توفي زوجي وحتى وصولي إلى هنا التقيت بعدد لا يحصى من الرجال، جميع أبناء بلدي جاؤوا إليّ وقدموا التعازي، التقيت بالكثيرين في المطارات والطائرات والسفارة قبل وصولي إليكم

– لا ضير، فللضرورة أحكام، والله غفور رحيم

– أمي لم يعد من ضرورة في أيامنا هذه، فمخابر التحليل أصبحت في كل شارع وحي، ومنذ اليوم الأول للحمل تستطيع المرأة التأكد من الأمر

– وما علاقة هذا بذاك؟!

– أليست الحكمة من العدة يا أمي هي التأكد من الحمل، من أجل تثبيت نسب الجنين؟ أليست مدة العدة هي الفترة اللازمة من أجل تحرك الجنين في رحم أمه وبذلك يتأكد الحمل ويثبت النسب؟ " (٥٦)

فالرفض حالة شعورية واعية من شخصية إنسانية مثقفة فالتمرد يعدّ ضمن المعطيات الإنسانية الشريفة التي تقف في وجه الفساد في مختلف صوره، حتى يتمكن الإنسان من تحقيق وجوده وقدرته على الاحتجاج والمجابهة فأن " تكون موجوداً هو أن تقول نعم وأن تنتمي وأن تقبل، ولكني إذا قبلت دائماً وإذا لم أرفض وأرفض نفسي أبداً فإنني أغرق. أن أكون موجوداً شخصياً يعني أيضاً وغالباً أن أعرف أن أقول: لا أي أن أصبح واقتلع نفسي"(٥٧)

فنقرأ لما وصلته (ختام) بتمردها على الأعراف الدينية التي تحد من سفرها إلى طقشند لإكمال دراستها على الرغم من معارضة الأم التي عدت وصمة عار وخزي لحق بالعائلة إذ تقول: " إن حكمة العدة عند رب العالمين، وليس ما تفكرين به سوى زندقة وكفر وضلال مبين، والمرأة ملزمة بالعدة ولو تجاوزت التسعين عليك الالتزام بالشرع والقوانين، لا تدعينا فرصة لانتقادات وأقاويل الآخرين، ألا يكفيك ما ألحقته بنا من الخزي والعار، لن أسمح لك بإلحاق المزيد، حاولت أمي الاستعانة بأبي أولاً ثم بأخي وأخواتي لتثنيني عما نويت، ولكنها لم تجد آذاناً صاغية فإما الجميع فقد أيقن أنه لا مرد لإرادتي ورغباتي، وإما أنهم تعاطفوا مع أحزاني وآلامي، أو أنهم مقتنعون بما أنويه ودعت الجميع، شيعتني أمي بالدموع والدعاء والابتهالات، راجية الله أن ينير فؤادي، ويضيء عقلي، ويهديني إلى سواء السبيل" (٥٨)

فهنا تبرز فيها أزمة المثقف، المأزق الذي تواجهه (ختام) في وجودها ضمن واقع مكبل بالمعوقات والعراقيل على مختلف المستويات، مما يدفع بها إلى الاغتراب على المستوى السلوكي– الذي يرتبط بطبيعة التفاعلات، فترى (ختام) ان في مواجهتها لكل القوى المتحالفة ضدها والمؤسسات العتيقة الممكنة الأساليب محاولة منها لإفساد جيلها من الجنس، وتحريضهم ضمنياً لهم على اكتشاف ذاتهم بعيداً عن كل المسلمات التقليدية والأفكار الرجعية حول حقوق المرأة خاصة، وحقوق الفرد العربي عامة، فكل شيء تجده الشخصية ضدها المؤسسات: الأسرة– المجتمع– القانون فها هنا نقرأ تمرد (ختام) على الأعراف الاجتماعية والتي بدورها تخالف (الشرع والدين) في قضية ارتداء المرأة الأرمل المتوفي زوجها الملابس السوداء اللون والتي تعد المعادل الموضوعي لإحساس الشخصية الحزين لافتقادها السند والزوج والحبيب الذي كان يشكله (حسان) بالنسبة لـ (ختام) وردود أفعال المقربين من أبناء جنسيتها والذين يحملون العادات والتقاليد نفسها التي حاولت (ختام) مخالفة هذا النظام عندما رأت أنه يعكس لابنتها اليأس والألم فتقول " غسلت ذات يوم جميع ملابسي السوداء، إذ لم أكن مضطرة للخروج إلى الشارع، حفظها الله فرح لا تفتأ توسخ ثيابي بنعليها المغبرين، أو يديها وشفتيها الدبقة بالشوكولاته الحلوى لبست ثوباً كان حسان قد اهداني إياه بمناسبة مرور سنتين على زواجنا قبل مرضه بأيام قليلة، كان الثوب مزهراً زاهي الألوان استيقظت ابنتي من نومها رأتني في ذلك الثوب، فتحت عينيها على سعتها، اقتربت مني، أخذت تحدق بثوبي وقد بدا عينيها بوجنتيها، رفعت إلي عينين مفعمتين غبطة، اهتزت بكامل جسدها الصغير مهللة، مزغردة، تحجرت في عيني الدموع، تمزق قلبي.. يا لي من أنانية، يا لي من ظالمة! ما ذنب الطفلة المسكينة كي أفرض عليها أحزاني وكآبتي وحدادي؟! ألا يكفيها اليتم وما زالت في المهد؟! حضنتها، ضممتها إلى صدري قبلتها، عاهدت عينيها قسم ألاّ ألبس إلاّ ما تحبين وترغبين وبعد أيام قلائل، أتت سعاد لتنقل إلي استهجان أبناء بلدي أيعقل أن تخلع ثوب الحداد، ولم تجف تربته بعد؟!"[٥٩] فالأسود كما هو معتاد لدينا هو رمز الحزن والألم والموت كما أنه " رمز الخوف من المجهول، والميل إلى التكتم، ولكونه سلب يدل على العدمية والفناء"[٦٠]

وهكذا يحضر اللون في الرواية ليدعم فضاء الدلالة الرمزية وقد حرص الروائيون في مختلف الأزمنة على انتخاب ألوان معينة لتكون ممثلة لطقوس الجنازة والحداد وفي هذا السياق كان الأسود والأبيض لونين مرشحين لاستيعاب أحاسيس الحزن ومشاعر الفقدان، وهما على كل حال لونان متقابلان يرشحان بتضاد دلآليتهما: فالأسود رمز الظلمة والأبيض رمز للنور، وهناك من يرى أن "أن الوجود بياض والعدم سواد وقد خضعا لاستعمالات مختلفة ومتنوعة تبعاً لاختلاف المرجعيات الثقافية والاجتماعية التي ينحدر منها الشعراء، فالأسود يرد عادة للدلالة على الحزن الشديد لأنه يعكس بهيئة المظلمة شعوراً بفداحة المصاب. وهناك من جعله ترياقاً أو تعويذة واقية من وقوع الموت، لكن بالمقابل نجد بعض الشعراء يتوجسون من اللون الأبيض يرافق المريض طوال رحلته المستحيلة في الاستشفاء ولأنه أيضاً لون الكفن عندما يفشل مبضع الطبيب المداوي"(٦١)

وهكذا يعيش المثقف الواعي تناقض دائم مع مجتمعه لينال حريته إذ إن الحرية هي " مشكلة الوجود الإنساني بأسره، وهي لهذا مشكلة المشاكل"(٦٢)

وهو بدوره يحتل مركز الصدارة في التمرد والمواجهة فـ " الإنسان المتخلف المتطور هو الإنسان الذي يستطيع أن يخلق عالماً متناقضاً لحقيقة المادة، وإن الإنسان المتخلف أو الأقل تطوراً هو الذي يمثل المادة نفسها، أي أنه هو نفسه موضوع المادة التي يعتني بها ذلك الإنسان المتطور"(٦٣)

فها هي (ختام) تعيش في هذه الحياة بحالة من الصراع المستديم بين قيود المجتمع وعاداته وتقاليده ومعاييره وبين طموحاتها كإنسانة، وسط الشروط المجحفة التي طوق المجتمع بها أبناءه وإحساس المثقف الواعي بثقل ووطأة هذا القيد الذي يشل حركة الإنسان، وبالتالي تحدٌّ من تطلعاته ورغبته المشروعة في إقامة حياة كريمة، في مجتمع يعلو من شأن المرأة ويعزز من قيمتها ومكانتها الاجتماعية.

ولكن ما نراه في المجتمع الذي تعيش فيه (ختام) بأنه " مجتمع يطلب الخضوع المعايير السائدة (سواء كانت معايير اجتماعية أو عقلية أو فنية) ومتطلبات الذات الإبداعية تختلف عن ذلك فهي تحتاج تجاوزاً وتخطياً للمعايير السائدة ويفرض المجتمع معاييره بأشكال

مختلفة منها المعارضة والعقاب والإهمال ويخلق هذا التعارض بين النوعين من المتطلبات تنافراً معرفياً "[٦٤]

فالإنسان يبقى دائماً ظاهرة بارزة في الحياة وموقفه منها فهو يشكل طرفي التأثر والتأثير على حد سواء فقد نجده في وقت من الأوقات قد تجاوز الصعوبات وتغلب على الحياة وتعقيداتها ونراها قد أصبحت طوع يديه ومتطلباته، وتارة أخرى نراه في حالة دوامة من التصادم عندما تتمرد الحياة عليه ولهذا نجد أن العملية أصبحت ربح وخسارة والذي تقع عليه مهمة التمرد هو الإنسان المثقف الواعي الذي يحاول أن يجلي الظلام عن كل ما يعيق تقدم الحياة الإنسانية فهو " الإنسان صاحب العلم بمعناه الرأسي والمعرفة بمعناها الأفقي، وصاحب الموقف الحضاري فالعلم وحده لا يصنع من الإنسان مثقفاً، والمعرفة الأفقية أي– الأخذ من كل شيء بطرف لا تصنع مثقفاً– بل لابدّ من اجتماع هذه العناصر الثلاثة العلم – المعرفة والموقف الفكري من الحياة بصورة عامة وتجاه قضاياها الأساسية والاجتماعية والسياسية والإنسانية والميتافزيقية، فالعلم والمعرفة يتيحان للإنسان الوعي بالواقع وحقيقة هذا الواقع ولمّا كان المثقف صاحب رؤية حضارية ومثال يتوخاه فقد لا يكون الواقع منسجماً مع تطلعاته " [٦٥].

فنقرأ موقف (ختام) المعارض والمتمرد على العادات والتقاليد الذي يرى إن المرأة الأرملة – يجب ان تعيش في بيت أهلها أو ذويها فإنها أصرت على أن تجد لها منزلاً مستقلاً بها وأبنتها على الرغم من معارضة أمها فتقول: " جرت العادة ونصت الأعراف والتقاليد ان تعيش امرأة لها مثل ظروفي في بيت ذويها ورغم هذا ورغم توسلات أمي الملحة كي أبقى إلى جانبها في بيتها الكبير، بعد أن باتت فيه وحيدة، أبيت إلاّ أن يكون لنا بيتنا الخاص، أقسمت أمي أنها كانت تعد الأيام وتحصي الساعات بانتظار عودتي وطفلتي من الغربة كي ننقذها من وحدتها الموحشة .

وندخل الفرح والسرور إلى قلبها وبيتها، عاهدتني ألاّ تتدخل بشؤوني الخاصة وألاّ تفرض عليَّ ما أكره وأن تدعني أعيش كما أشاء لو رضيت البقاء، ما كان بيت أمي يوماً بالنسبة لي إلاّ سجناً، صودرت فيه أحلامي وتطلعاتي لن أحكم على ابنتي أن تعاني ما عانيت في هذا

البيت " [٦٦] ف (ختام) ترى بأن التقاليد القديمة الرجعية شيء والتي نمت الأم عليها وآمنت بمبادئها قد مضى عليه الزمن وبضرورة خلق تغير ملائم للعنصر ولكنها لازالت منطبعة بتلك العقلية التقليدية، لأن جذورها قد نمت في أرضها... هذه المشاعر المتناقضة من قبل (ختام) تؤدي بالنتيجة إلى التشتت والضياع الذي طرحته الكاتبة (سوزان مصطفى) بشكل ضياع غامض دون تحديد لمعالمه وسبر الأسباب العميقة له.

ونرى عمقاً أكبر في تحليل الكاتبة لعلاقة المرأة بالمرأة، إذ ظهرت الوجوه العديدة لهذه العلاقة غير المألوفة في المجتمع الشرقي التقليدي، ولقد نفذت الكاتبة ذلك الربط الزائف والذي لا معنى له للمرأة بالتقاليد التي لم تعدُّ تنسجم مع تغيرات العصر والتمرد عليه هو عَد المرأة من دون مستوى القدرة على التفكير المستقل وكون رؤوس الآخرين جاهزة تقول غادة السمان: " بأن المرأة العربية لا تطالب في الحقيقة بالمساواة مع الرجل العربي لأنه هو نفسه لا يتمتع حقاً بحقوق يحسد عليها. ومن هنا لابدّ من صهر نضال المرأة داخل بوتقة نضال المكافحين جميعاً من أجل حياة أفضل للإنسان العربي" [٦٧] (ختام) وهي تصطدم بالقوانين الاجتماعية والذي تعدّ دستور الحياة الذي ينظم حياة الفرد داخل بيئة معينة من المجتمع ورفض السلطات القاضية في المجتمع السوري من الاعتراف بنسب (فرح) ابنة (ختام) من والدها (حسان) الذي توفى في طقشند المدينة الذي تم فيه الزواج والحكم عليها بأنها ابنة غير شرعية ونظرة السخرية والازدراء التي كانت توجه إليها من قبل رجال القضاة أثناء تواجدها هي وأصدقاء زوجها عبد الحميد وصديقه اللذين كانا شاهدين على زواجها من المدعو (حسان إبراهيم) أبو فرح وكان حضورهما عن رغبة القاضي لتثبيت نسب الطفلة الشرعي. فتقول: " مثلنا أمام القاضي، أعلن الاثنان أنهما شاهدان على زواجي من المدعو حسان إبراهيم رحمه الله، طلب إليهما القاضي ما يثبت هويتهما فناوله عبد الحميد جواز سفره وقدم إليه الآخر الهوية الشخصية سأل القاضي إن كان لديهما ما يثبت أنهما كانا يقيمان في مدينة طشقند في نفس الفترة التي كنت أقيم فيها، فتح عبد الحميد جواز سفره على الصفحة الأخيرة والتي دمغ عليها ختم الإقامة، أعلن القاضي عن تأجيل الجلسة ثلاثة أشهر إلى ما بعد العطلة القضائية والتي ما زالت أمامها شهر كامل على أن يتقدم كل منا نحن الثلاثة بصورة عن ختم الإقامة مترجمة إلى اللغة العربية ومصدقة حسب الأصول... طار صوابي، صعد الدم إلى رأسي،

توجهت إلى القاضي متوسلة أن تحدد الجلسة القادمة قبل مغادرة عبد الحميد إلى طشقند، أي خلال عشرين يوماً، فأجاب القاضي زاجراً ناهراً انصرفي ولا تعطليني عن متابعة أعمالي فأمام المحكمة قضايا كثيرة سوى قضيتك توسلت إليه بإلحاح ورجاء أن يدون إفادة عبد الحميد على الأقل ويحصل على توقيعه متعهدة أن أقدم الأوراق المطلوبة في الجلسة القادمة.

أشار القاضي إلى اثنين من موظفيه بإيماءة من يده تفيد أن قوداها إلى الخارج، فاقتربا مني، أمسكني أحدهما من ذراعي ليقودني بالإكراه باتجاه الباب شعرت أن أعصابي تنطلق من عقالها، متحولة إلى عاصفة مجنونة فقدت وعيي وصوابي، تملكني غضب مجنون أعماني، فأخذت أصرخ بأعلى صوتي يا لك من طماع جشع يا لك من نذل خسيس قلها بوضوح ومنذ البداية؟ أتخجل!! وهل أمثالك يخجلون، قل كم تريد وارضي؟! "[٦٨]

ففي الواقع أن المرأة والمتمثلة بـ (ختام) في روايتنا محور الدراسة يشترك معها الرجل بأنهما معاً ضحيتان لهذا العالم المعاصر وباتحادهما معاً سينجحان في النضال ضد الجهل، النبع الأول لآلام المجتمع، لأن المرأة ليست مظلومة من قبل الرجل فقط، ولكن من قبل التخلف والفروق وهنا يتجسد تمرد (ختام) حول الأفكار والأشخاص داخل عبثية المدينة الحديثة التي من مظاهرها الملموسة هي نظام (الرشوة) التي يضطر المرء إلى دفعها لينال كل ما يصبو إليه ضمن نطاق الدوائر الرسمية التي من خلالها وقوانينها تنتظم حياة المجتمع فالتمرد هنا ضد النظام الفاسد الذي يسمح بتفشي الرشوة داخل أروقة دوائره فالتمرد لا يعني إلغاء شاملا للماضي وقطعاً للصلات مع التراث المطلق ولكنه يعني إعادة النظر في ركام من الأفكار المتوارثة والقيم المحنطة التي ينوء تحتها الإنسان العربي رجلاً كان أم امرأة، والمرأة تنوء تحتها أكثر لأن المرأة هي مظلومة المظلومين وكادحة الكادحين، أينما وجدت فكانت محاولة الكاتبة من خلال طرحها لهذا ألا نموذج لقضية تحرير المرأة يعدّ كجزء من إطار أوسع وأكثر تعقيداً ألا وهو تحرير المجتمع العربي وتطويره، ولقد رسمت هزيمة ١٩٦٧ الطريق والشكل النهائي لقضية المرأة في سجن التخلف الاجتماعي ككل وعوامل كثيرة أخرى وأصبح من الضروري تجاوزها للانضمام إلى الرؤية الواسعة للعالم وقضاياه.

فنقرأ ما آلت إليه الشخصية المتمردة وما جنته من تمردها وبالتالي المسار الذي وصلت إليه الشخصية ورغبتها بالرحيل وهو يعد (الرحيل الثاني) بحياة الشخصية بعد إحساسها بالانكسار في مجتمعها الذي لم تشعر يوماً بالألفة والطمأنينة به فقد شكل (البلد) مكاناً معادياً فالشخصية تحاول دائماً أن تحدد ذاتها في بلد غير بلدها ذلك البلد الذي فيه الكل ينظر إليها نظرة استهجان، وسخرية تقول: " أعلنت مديرة المدرسة أن قبول فرح في الصف الأول مؤقت ومشروط بتقديم صورة عن قيد السجل المدني والبطاقة العائلية. كل لحظة تصفع وجهي بحقيقة أمرّ من الأخرى. كل شيء في العالم كان يقف في وجهي، كل إنسان التقي به يصفعني، كل يوم يمر يبصق في وجهي شعوراً مراً حاد المرارة، كل يوم يحفر في صمودي صدعاً لا يعوض فاشتد تهاوياً، اشعر أنني أترنح في فضاء لا أرض له ولا سماء، أرى كل ما حولي يتحطم، حتى أنني نفسي صرت جزءاً من هذا الحطام... يداهمني شعور بالعزلة والغربة والعجز أكثر من أي وقت مضى هيمن القنوط على نفسي، جمدت أفكاري، حتى استمالت حياتي بركة ماء آسن ورغم كل مشاعر المرارة وخيبة الأمل التي تعتمل في نفسي إلاّ أنني حاولت منذ البداية ألاّ أنشغل عن طفلتي، وألاّ ينعكس ما أعانيه على إنقاذ طفولتها. فرح بنيتي، كانت وما زالت موج الشعاع الذي يطفو ساطعاً على صفحة حياتي الا سنة ، لا ينبغي لصغيرتي أن تدفع الثمن. ولكن ثمن ماذا؟! في رأسي تختلط أصداء الحقائق، أهو ثمن حريتي، أم ثمن أخطائي؟! أم ضريبة التخلف والجهل؟!

وفي غمرة تفكيري والتساؤل والبحث عن البدائل والحلول، انبثق داخل نفسي نزوع إلى الرحيل، ولكن... إلى أين؟! إلى أي مكان يعترفون بي أماً، وبابنتي إنساناً حياً موجوداً يرزق"(٦٩)

فكل القوانين التي وضعت في البلاد العربية في صالح الرجل لا المرأة. ف (ختام) هي شخصية لم تستطع أن تفهم اللامعنى الذي يسود العالم الذي يحيط بها فتصاب نفسيتها بالاضطراب وتدخل في دائرة الفراغ والتشاؤم وهذا يفسر لنا الحضور اللافت للمحكيات النفسية وكلام الهمس والرؤى والاستيهامات في كلامها فهي نفسها التي تسرد حكايتها، وهي لا تستطيع أن تفسر ما يحدث بواسطة خطاب فكري عقلي، لأن اللامعقول ينفلت من المنطق،

ومع ذلك فهي تقدم الملاحظات والأسئلة والأقوال الساخرة ما يدل على الظلم والقهر الذي يمارسه الجهات المعنية لتثبت هوية طفلتها وإثبات نسب الطفلة لأبيها وأنها شرعية، وهي نجحت في دفع القارئ إلى التعاطف معها بوصفها ضحية الظلم والقهر وغياب العدل والحرية، يبين الراوي للقارئ التمييز الجنسي الذي نعيشه نحن ونعززه في مرافق الحياة الاجتماعية والسياسية كلها فيفضل بها الذكر على الأنثى (الرجل على المرأة) وإن رفض الشخصية بهذا التمييز وتمردها عليه لا يعني " إحداث البدائل والتي لا تتأتى من قوانين وأنظمة جاهزة مستلقاة من مجتمع آخر له ثقافته التي تختلف عن عادات وثقافة وتقاليد المجتمع الذي نعيش فيه إلى مستوى الجدلية الخلاقة إلاّ إذا تخطى صراع البدائل السطحي وتمكن من إنتاج النقيض الحقيقي الذي يشكل نقلة نمو نوعية واضحة "[٧٠] إذ تقول: " آخر ما يفكر به ويحسب حسابه في وطني هو مشاعر المرأة وعواطفها وأحاسيسها. فجميع القوانين وضعها الرجل وما المرأة سوى البطن وهي منبع اللذات، أما رأسها فقلما يؤخذ بالحسبان، اللهم إلاّ باعتباره تابع تجميلي أجوف ملحق بذاك البطن. فلا بأس على رجل يحرم أمّاً أطفالها، والويل كل الويل لها لو فكرت أن تحرمه أو تحرم أهله إياهم، وفي الوقت نفسه يصادق جميعهم أن اليتم من فقد أمه، وليس من فقد أباه"[٧١] فختام تقرر الرحيل بعد أن حصلت على عقد عمل في مدينة مصراته الليبية للعمل كعضوة في هيئة التدريس لديها، على أن تحضر في موعد أقصاه خمسة عشر يوماً من تاريخها... فما كان من الشخصية إلاّ أن تسلم زمام أمورها المستعصية في تثبيت نسب ابنتها (فرح) إلى الرجل والمتمثل بـ أخيها (محمد) دعوة من الكاتبة للبوح بأن المرأة دائماً هي الضحية وإنها لا تمتلك القيادة لإدارة أمورها الاجتماعية ومحاولة الكاتبة أيضاً في تأكيدها على الأساليب غير السليمة المتبعة في بعض الدوائر الحكومية والمتمثلة بقبول (الرشوة) فيصبح الحرام حلالاً والممنوع مقبول فتقول عبر سردها الذاتي " بحفنة من نقود تخترق القوانين، يصبح المحظور متاحاً، وينقلب الحرام حلالاً أهذه نهاية المطاف؟ أأغادر بلادي تحت فج الظلام، كالمجرمين واللصوص بجواز سفر مزوّر؟

قال أخي عندما رأى انكساري ودموعاً تسيل على خدي: أختاه، كي تعيشي بارتياح، لابد لك أن تتنازلي في بعض الأحيان، لا ينبغي أن تقفي دائماً في وجه التيار، المرونة ضرورية أحياناً «لا تكن قاسياً فتكسر ولا تكن ليناً فتعصر" (٧٢).

فنحن إذاً أمام شخصية مأزومة عادت إلى وطنها بعد أن فقدت زوجها عادت وهي تحمل طفلتها فكيف وجدت الشخصية عالمها الأصل؟ ذلك هو السؤال الذي حاولت الكاتبة (سوزان مصطفى) أن تعالجه في المحكي بتفاعل متواصل بين ذاتية الرواية العائدة الشخصية المحورية (ختام) وواقع عالمها الأصلي، مركزة على أزمة الذات التي تزداد كلما اتسع اكتشافها للغرابة التي صارت خاصية عالمها الأصلي، ويأتي صوت الشخصية وهي تسرد لنا رحلة العودة مشدودة إلى عالمها الأصل، موزعة ومشتتة بين الماضي والحاضر، ويتناسل أصوات عديدة ومتعارضة، ذلك لأن رحلة العودة ليست سفراً في المكان فقط، بل هي سفر الزمان أيضاً، فللماضي حضور خاص في علاقة الذات بوطنها وبأرض الأم، أولاً، لأنها ذات عائدة من تجربة قاسية، وثانياً لأن أرض الأم لم تعد كما كانت في الماضي، وأمام هذا الواقع أي أزمة الذات وغرابة العالم لم يعد من خيار غير السفر والتذكر والحلم والخيال من أجل تجاوز فداحة الواقع بالتمييز الجنسي ومن دون التطور البرجوازي الجامد للحرية، فعلى المرأة أن تصبح عاملاً فعالاً قادراً على تنظيم وجودها ومشاركتها في مسيرة العالم العربي، والنضال مع الرجال لإرساء البنى الأساسية الضرورية ومن أجل هذه المشاركة مع تساوي الحقوق، يجب التخلص من الأفكار المتحجرة لمجتمع متخلف مظلم خانق وهذا ما توضح جلياً بعد هزيمة ١٩٦٧.

فالروائية (سوزان مصطفى) تناشد روايتها عبر (ختام) التمرد الذي كان ملازم لها، فهي تتمرد على البنية الأسرية وعلى العادات والتقاليد والقوانين التنفيذية في مجتمعها من أجل كل ما ذكرناه أي التزاماً بصدقها معهم فالتمرد عندها ليس حرية التهديم بل حرية البناء، كأن تمردها ملتزم بكل القيم الإنسانية التي تؤمن بها، فهي تعشق الحرية حتى ذروة التمرد لكنها تؤكد أنها تتحدث عن حرية مسؤولة ولا فضفاضة " من الضروري لأي عمل أدبي يوقظ وعي الإنسان بالماورائيات الخفية ومتاهات الوجود وعجزه عن مواجهة قوى ما وراء الطبيعة مثل الصدفة والقدر المجهول، إن شعور الإنسان بغربته الكونية وتخبطه في شبكة عنكبوتيه مظلمة من

العناصر الاجتماعية السياسية، التاريخية الروحية المعلوم منها والمجهول هذا هو اللامعقول، وغيثان العبث" (٧٣)

فالقارئ وهو يتعامل مع النص الروائي للكاتبة (سوزان مصطفى) يجب أن يضع في الحسبان أنه يتعايش مع تجربة إنسانية ومع أيديولوجية معينة ضمن رقعة جغرافية محددة بأناسها بعادات وتقاليد مضافة إليها الأنظمة والقوانين التي تنظم حياة أبنائها تؤمن بالعادات والتقاليد والأنظمة.

إن رضوخ (ختام) لطلب أخيها تهدف إلى تجسيد فلسفة ترى أن العمل الفردي، مهما كان نبيلاً في أهدافه ودوافعه فلن يصل بصاحبه إلى أهدافه بل يؤدي به إلى طريق مسدود فالفرد لا يمكنه تحقيق طموحاته إلاّ من خلال الجماعة وبها والشخصية الروائية تفترق عن الشخصية الواقعية أو التاريخية لأنها " أكثر تفرداً منها فمهما عرف القارئ عن تلك الشخصيات فلن تصل به المعرفة إلى حد إدراك أسرارها "(٧٤)

أما الشخصية الروائية فإنها " تجذب القارئ لأنه يعرف عنها أكثر مما يعرف عن كثير من المخلوقات الأخرى، فعن طريق استبطان الكاتب وعي شخصياته يصبح كل شيء فيها متوقعاً مفاجئاً، تشف عنه نفوسها وتوضحه"(٧٥)

ومزية أخرى تضاف إلى الشفافية والوضوح اللذين تتميز بها الشخصية الروائية تلك هي " سلوكها معلل في دوافعه ونوازعه، وكذلك هو مفسراً تفسيراً لا يخلو من معان إنسانية"(٧٦)

ويمكننا أن نشير إلى أن رواية (أشرعة ممزقة) لسوزان مصطفى قد طرحت قضيتين كبيرتين الأولى/ توفر درجة عالية من الصدق مع الذات ومع الواقع فالهاجس المركزي في الرواية ينصب أساساً على موضوع المرأة من حيث هو قضية أو معركة ضد التمييز الجنسي والتنشئة الاجتماعية والعادات والتقاليد والتخلف الثقافي٥ لكي تنال المرأة حقوقها وتؤكد ذاتها في مجتمع ذكوري يصادر أبسط هوياتها وحقوقها

الثانية/ وجود درجة عالية من التماهي الذي يكاد يصل إلى حد التطابق بين سيرة حياة الكاتبة (سوزان مصطفى) وبطلة روايتها أشرعة ممزقة وستتكشف الحقيقة بسهولة فائقة عند قراءة السيرتين الشخصية والروائية.

هوامش البحث ومصادره :

١- معجم لسان العرب/ العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم/ ابن منظور/ لأفريقي المصري/ طبعة جديدة محققة/ مجلد ١٤/ دار صادر بيروت/ لبنان ٤٩-.٥٠

٢- تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيلوغرافيا الرواية النسوية العربية (١٨٨٥-٢٠٠٤) نزيه أبو نضال/ ط١/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ ٢٠٠٤/ .٣٥

٣_نفسه/٣

٤_معجم المصطلحات العربية/مجدي وهبة/كامل المهندس/مكتبة لبنان /بيروت/١٩٧٩/

٥- ثنائية الجنس أم ثنائية الفكر/ حسن حنفي/ مجلة هاجر/ الكتاب الأول، دار سينا/ القاهرة/ ١٩٩٣/ .٣٥

٦- مفهوم النص/ نصر حامد أبو زيد/ دراسة في علوم القرآن/ ط٣/ المركز الثقافي العربي/ بيروت/ الدار البيضاء/ ١٩٩٤/ .٩

٧- تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية/ .٣٦

٨- صورة المرأة في الرواية النسوية/ http.fedaa.lwehdo.govsylarhiveasp?FileName / ٢٠١٠. /١٠/٣٠

٩- نفسه.

١٠- أشرعة ممزقة/ (رواية) سوزان مصطفى/ ط١/ دار حوران للطباعة والنشر والتوزيع/ سوريا/ دمشق/ ط١/ .٢٠٠٢

١١- نفسه/ .٢٦

١٢- نحو إطار عمل نظري لدراسة المرأة في العالم العربي في الدراسات الاجتماعية عن المرأة في العالم العربي/ أمل رسّام/ بيروت/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ اليونسكو/ ١٩٨٢/ ص٢٣٥-٢٣٦.

١٣- أشرعة ممزقة/ ٢٦-٢٧.

١٤- نفسه/ ٢٦.

١٥- أنماط تنشئة الطفل اجتماعياً/ ترجمة صالح البكاري/ تونس/ د.ن ١٩٨٤/ ص١٠٧.

١٦- نفسه/ ١٨٣.

١٧- المدخل إلى علم النفس/ د. هاشم جاسم السامرائي/ مطبعة منير/ بغداد/ ط٣/ ١٩٩٠/ ١٠٨.

١٨- نفسه/ ١٠٩.

١٩- نفسه/ ١٠٩.

٢٠- أنماط تنشئة الطفل اجتماعياً/ ١٨٥.

٢١- أشرعة ممزقة/ ٢٩.

٢٢- نفسه/ ٢٩

٢٣- تأثير التنشئة الاجتماعية على أداء المرأة لدورها/ كمال سعيد/ المجلة الاجتماعية/ القاهرة/ السنة ١٤/ ع (١-٣)/ ١٩٧٧/ ٢٦٠.

٢٤- أشرعة ممزقة/ ٢٩.

٢٥- المرأة الفلسطينية والثورة/ دراسة اجتماعية ميدانية تحليلية/ بيروت/ منظمة التحرير الفلسطينية/ مركز الأبحاث/ ١٩٧٧/.٥٣

٢٦- ملك حنفي ناصيف باحثة البادية النسائية/ مجموعة مقالات نشرت في الجريدة في موضوع المرأة المصرية/ مصر/ مطبعة التقدم/ ١٩١٠/ ج٢/ ٤.

٢٧- نفسه/ .٤

٢٨- اشرعة ممزقة/ .٣٠

٢٩- نفسه/ .٣٠

٣٠- نفسه/ .٣١

٣١- نفسه/ .٣٢

٣٢- آفاق جديدة في دراسة الإبداع/ د. عبد الستار إبراهيم/ وكالة المطبوعات/ الكويت/ ١٩٧٨م/ .١٢٧

٣٣- أشرعة ممزقة/ .٣٦

٣٤- نفسه/ .٣٧

٣٥- التخلف الاجتماعي (مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور) الدراسات النفسية/ علم النفس/ مصطفى حجازي/ بيروت/ معهد الإنماء العربي/ ١٩٧٦/ ٢٠٧-.٢٠٨

٣٦- مشاركة المرأة في الحياة العامة في سوريا منذ الاستقلال ١٩٥٤-١٩٧٥/ نبيلة الرزاز/ دمشق/ ١٩٧٥/ ١٧٤-.١٧٥

٣٧- أشرعة ممزقة/ .٣٧

٣٨- الخوف من الحرية/ أيرك فروم/ ت مجاهد عبد المنعم مجاهد/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ لبنان/ ط١/ ١٩٧٢م/ .١٥٠

٣٩- المرأة في دول الخليج العربي في دراسة ميدانية/ ضاهر/ ١٥٤/ ينظر المرأة العربية بين ثقل الواقع وتطلعات التحرر/ سلسلة كتب المستقبل/ بيروت/ ١٩٩٩/ .٩٠

٤٠- حركية الإبداع (دراسات في الأدب العربي الحديث)/ د. خالدة سعيد/ ط٢/ دار العودة/ بيروت/ ١٩٨٢/ .١٢٣

٤١- الاتجاهات النفسية للشباب نحو مراكز المرأة في المجتمع العراقي/ جابر عبد الحميد جابر/ المجلة الاجتماعية القومية/ لسنة ٧/ ع٣/ أيلول/ ١٩٧٠/ .٢٦

٤٢- أشرعة ممزقة/ .٣٧

٤٣- استراتيجيات القراءة (التأصيل والإجراء) النقدي/ د. بسام قطوس/ مؤسسة حمادة/ دار الكندي/ إربد/ ١٩٦٨م/ .١٦٥

٤٤- إستراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية/ مطاع صفدي/ منشورات مركز الإنماء القومي/ لندن/ ط١/ ١٩٨٦م/ .٥

٤٥- العزلة والمجتمع/ نيقولاي بوديائف/ ت فؤاد كامل/ مراجعة علي أدهم، دار الشؤون الثقافية العامة/ بغداد/ ط٢/ ١٩٨٦/ ٩٤

٤٦- أشرعة ممزقة / ٧٣ .

٤٧- إنسانية الإنسان/ رالف بارتون/ ت سلمى الخضراء الجيوسي/ مؤسسة المعارف/ بيروت/ ١٩٦١م/ .٢١٣

٤٨- أشرعة ممزقة/ .٧٣

٤٩- نفسه/ .٥٦

٥٠- الأنا والآخر وهدم النمطية/ د. فائز الطراونة/ مجلة عالم الفكر/ مج ٢٧/ ع٣، مارس ١٩٩٩م / ٢٨٣

٥١- أشرعة ممزقة/ .٧٣

٥٢- نفسه/ .٧٥

٥٣- نفسه/ .٩٠

٥٤- الاغتراب/ شاخت- ريتشارد/ ت كمال يوسف حسين/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/ ط١/ ١٩٨٠/ ٥٦-.٢٣٩

٥٥- أشرعة ممزقة/ .١٠٦

٥٦- نفسه/ .١٠٨

٥٧- الشخصانية/ أمانويل مونيه/ ت محمود جمول/ المنشورات العربية، سلسة ماذا أعرف؟ (د.ت)/ .٥٤

٥٨- أشرعة ممزقة/ ١٠٨-.١٠٩

٥٩- نفسه/ .١١٢

٦٠- اللغة واللون/ د. أحمد مختار عمر/كلية دار العلوم/ جامعة القاهرة/ ط١/ ١٩٨٢/ ١٨٦.

٦١- رمزية الألوان في الشعر المأتمي:/ د. عبد السلام المساوي/ مجلة عمان/ المغرب/ حزيران/ ع١٠٨/ ٢٠٠٤/ .٣٥

٦٢- مشكلة الحرية/ د. زكريا إبراهيم/ مكتبة مصر/ دار الطباعة الحديثة/ القاهرة/ ط٣/ ١٩٦٣م/ .١٠

٦٣- الأنا والآخر وهدم المنطقية/ د. فائز الطراونة/ مجلة عالم الفكر/ مج٢/ ع٣/ مارس ١٩٩٩م/ .٢٨٣

٦٤- آفاق جديدة في دراسة الإبداع/ د. عبد الستار إبراهيم/ .١٢٧

٦٥- الرفض في أزمة الشاعر المثقف/ د. عبد الفتاح نافع/ مجلة البصائر/ الأردن/ مجلد ٢/ ع١/ آذار/ ١٩٩٨/ .٥٩

٦٦- أشرعة ممزقة/ ١٤٧-.١٤٨

٦٧- التمرد والالتزام في أدب غادة السمان/ تقديم البروفيسورة إيزابيلا كاميرا دافليتوا/ ت عن الإيطالية/ نورا السمان وينكل/ تأليف ياولادي كايوا/ دار الطليعة للطباعة/ بيروت/ لبنان/ ط١/ ت٢/ ١٩٩٢/ .١٠

٦٨- أشرعة ممزقة/ .١٥٦

٦٩- نفسه/ .١٥٧

٧٠- إستراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية/ مطاع صفدي/ .٥

٧١- أشرعة ممزقة/ ١٦١-.١٦٢

٧٢- نفسه/ .١٦٠

٧٣- عبد السلام مبارك- غادة السمان تتحدث في الأدب والحب/ القاهرة/ ٢٤/ ١٠/ ١٩٦٧.

٧٤- أركام الرواية/ فورستر/ ت عياد جاد/ مراجعة حسن محمود/ سلسلة الألف كتاب/ إدارة الثقافة العامة/ دار الكرنك/ للنشر والتوزيع والطبع مطبعة الوحدة/ الفجالة/ ١٩٦٠/ ٣٩.

٧٥- النقد الأدبي الحديث/ محمد غنمي هلال/ دار الثقافة/ دار العودة/ بيروت/ ١٩٧٣/ ٥٦٤.

٧٦- نفسه/ ٥٦٢.

Female Mutiny Features in Story of (Shredded Sails) for Susan Mustafa

Instructor
Baidaa Hazim Saadoon
Mosul University
College of Education

Abstract

This approach aims to study the female mutiny for the pivotal character in story of shredded sails and its conflict to pull out its freedom and practice its existence far from the ferrous forms which has authority frames which representing by (paternal structure – social growth – the habits and traditions – the civilized and cultural retardation) which press on the woman's life and her behavior, so we find her release its protestation shout, it is a story forming an psychological and social document can not leave it to measure Arab woman's reality in certain stage.

This research had adopt explain the concept of the mutiny , then study of this theme effect in personality of (Khitam) the pivotal character in story of shredded sails for its writer Susan Mustafa, by its analyzing with applying examples from the story which is the study pivot.